www.awu.sy

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد «1327» 2013/1/12 م - 30صفر1434هـ
السنة السابعة والعشرون

٢٤ صفحة - السعر: ١٥ ل.س

لوحة لـ الدكتور اسكندر لوقا

المصطلح وولادته

الوعي الوطني والأزمة

السَّرقاتُ الشِّعْرِيَّةُ

أدب الأطفال وثقافتهم

مساحة ذكريات

الطّريق إلى نجمة الصّبح

أمطارٌ ساخنة

من رؤى أمّي

المصطلح وولادته

خالد أبو خالد

يغيب عن البعض كثيراً، وربما دائماً، بحسن نية.. أو بسوء نية.. أن المصطلح في حياتنا السياسية.. مهم.. لأن عليه يرتكز العمل.. ولأن أعداء هذه الأمة من أمريكيين وصهاينة يحاولون أن يجعلونا نلعب في المساحات التي ينصبونها لنا كأشراك..

فمثلاً, يأتي مصطلح الشرق الأوسط وأزمة الشرق الأوسط.. كبديل لمصطلح الوطن العربي.. وقضية فلسطين وإذا ما أردنا أن نسوق أمثلة فالأمثلة كثيرة.. لكن ما يحضرني الآن هو مصطلح «جدار الفصل العنصري» ونتلهى نحن تحت هذا المصطلح خارج دلالاته الحقيقية. ذلك أنه يوحي فيما يوحي أن العرب الفلسطينيين يناضلون لكي يتوحَّدوا مع اليهود الصهاينة، وبالتالي لا بدّ من إسقاط هذا الجدار من أجل ذلك..

أما الدلالة الحقيقية للمصطلح فهي أن الجدار قد أقيم من أجل أن يخدم عمليات الاستيطان التي تضاعفت مئة مرة في ظل أوسلو، ومفاوضات أوسلو التي لم تشكل سوى غطاء له.. لكي ينمو وينتشر انتشار السرطان.. فبدلاً من رفع شعار مقاومة الجدار باسمه ومدلولاته.. يصبح الشعار «نضال ضد جدار الفصل العنصري»..

ولمن لا يعرف أقول: إن هذا الجدار والمستوطنات والطرق الالتفافية قد أبقت على حوالي 12% من مساحة الضفة الغربية في ما يشبه المعازل ذات الشكل الأرخبيلي التي تتيح للعدو الصهيوني سيطرة استراتيجية على مجموع شعبنا في المدن والقرى المحتلة عام 1967.

وهنا تكمن كارثة استخدام المصطلح بدلالته المضللة.. ولأن الأمر كذلك لا بد من التدقيق بهذا المصطلح وغيره من المصطلحات المضللة.. من مثل «القرار الفلسطيني المستقل» وهو القرار الذي قاد إلى أوسلو بجماعة أوسلو, ووصلنا إلى ما وصلنا إليه من حالة هي نقيض الثورة، ونقيض الانتفاضات التي حفل تاريخ نضال شعبنا طوال ما يزيد على قرن من الزمان.

والذين شربوا من نبع الخيانة حاولوا أن يدفعوا شعبنا كله إلى أن يفعل فعلتهم.. لكن شعبنا انتفض دائماً.. وسيواصل انتفاضاته.. إلى أن يسقط الاحتلال الصهيوني ومرتكزاته والمنشقون مع أجهزتهم المنية الذين يسعون إلى الاتحاد به تحت يافطة مصطلح «جدار الفصل العنصري».

فلمن لا يعرف.. ثمة من يرى الآن أو يقترح أن قضية فلسطين بما هي عليه قد جرت تصفيتها.. وأن الحل هو دولة ثنائية قومية..

وهنا لابد من التأكيد على أن اليهود ليسوا قومية، بل مجموعات من شعوب متعددة.. ولا يشكلون قومية ولن يشكلوها.

أما شعب فلسطين فمن الشعب العربي بامتياز وهو جزء من أمته العربية، ومن وطنه العربي؛ وبالتالي فهو الذي يكثف الأمة في داخله وإرادته وتكوينه.

وهذا وحده يؤكد استحالة قيام دولة ثنائية القومية لأن شعبنا سوف يواصل نضاله مراكماً تضحياته لكي يصل إلى فلسطين المحررة والعربية، وهي التي نعرف جميعاً أنها إلى رفح.. وأن عودتنا إليها.. وأما فلسطين فذلك هو المصطلح والشعار، والمضامين التي برهن شعبنا على حقائقها..

ولابد من الانتباه إلى أن العدو الصهيوني.. يلقى إلينا دائماً بأشراكه وحقول ألغامه.. لكي يجعل منها ملعباً لنا..

ويجب أن نقول له: إن ملعبنا.. وساحة نضالنا هي فلسطين.. كل فلسطين وليس سوى فلسطين.

موات الكائنات الحيّة

طالب عمران

دورة الحياة مستمرة، والشيخوخة هي أكثر العلامات التي يتركها الزمن على الجسم الحيّ.. وعلى الرغم من أنها تبدو في جميع الأحياء واضحة جليّة، سواء في النباتات أو الحيوانات أو البشر، فإنها ليست شاملة..

بعض الكائنات العضوية ذات الخليّة الواحدة قد تنقسم بعد نموّها، إن وجدت الظروف المناسبة..

وعندما تشيخ الكائنات العضوية متعددة الخلايا، فإنها تنتقل من المرحلة الأولى للنمو إلى مرحلة النضج؛ حيث تتوازن عمليات التدهور، في نشاط تعويضي واضح.. إلا أن ذلك لا يمنع الشيخوخة من القدوم..

وتكون الغلبة أخيراً للتدهور المطّرد؛ حيث تتعرض الكائنات لأخطار الإجهاد والعدوى ونقص الطعام وتغير الحرارة بحيث يؤدي ذلك إلى هلاكها..

ومعدّلات الشيخوخة تختلف حسب الأنواع في الكائنات الحيّة..

ففي الفقاريات تعيش الحيوانات الضخمة عمراً أطول من الحيوانات الصغيرة.. فضلاً عن أن عوامل كثيرة قد تساعد في زحف الشيخوخة السريع إلى الزواحف نتيجة التغير المتباين في درجات الحرارة..

وبالطبع تختلف شيخوخة الحيوانات مع اختلاف عوامل البيئة التي تعيش فيها.. فالحرارة الدائمة في المناطق الاستوائية قد تجعل حيواناً متوحشاً لا يعيش طويلاً، كما لو كان في المناطق الباردة التي يمر الزمن فيها ببطء وهدوء.. بعيداً عن الصخب..

إن العقل البشري قد أعطى الإنسان إمكانية كبيرة في تأخير الشيخوخة، بتناول المقويات والأغذية الخاصة التي لا تهدم الخلايا ولا تخربها سريعاً..

وقد ظهر في التاريخ البشري أن الإنسان المتطوّر هو الأكثر مقاومة لظروف الشيخوخة من الإنسان البدائي..

الإنسان البدائي كان متوسط عمره لا يزيد عن (30) عاماً؛ نظراً لظروف الحياة الصعبة في بيئة مليئة بالأهوال والمتاعب..

والإنسان في هذا العصر وصل متوسط عمره إلى الـ (70) عاماً؛ أي إنه أخّر شيخوخته كثيراً مقارناً بالإنسان القديم..

مراحل الحياة بالنسبة إلى الإنسان واحدة، طفولة ثم شباب ثم نضج، فكهولة فشيخوخة.. إنها مراحل يمر بها الإنسان تباعاً حتى يأتيه الموت, نهايته المحتومة..

إن المعرفة المتراكمة في مورثّات الكائن الحيّ قد تخزّن الخبرة، التي تجعل لبعض الكائنات قدرة على مقاومة الشيخوخة..

لكن هل يستطيع الجسم خلال مرحلة النضج، مقاومة عوامل شيخوخته وصيانة خلاياه؟

بالطبع يبدو الجواب واضحاً، فهناك عوامل كثيرة تجعل نسب الوفيات مرتفعة على الرغم من محاولات الكائن الحي صيانة جسمه وخلاياه..

الحيوانات قد تتعرض للافتراس والمجاعة والأوبئة والأمراض.. والإنسان قد يتعرض أيضاً للأمراض والحوادث الفجائية..

لذلك ففرص الاستمرار في مقاومة عوامل الفناء فرص مستحيلة.. وهناك هرمونات خاصة يدعوها البعض بهرمونات الموت، هي التي تهلك الكائن الحيّ..

إن عجز الكائن العضوي عن التكيّف في بيئة متغيّرة، تجعله معرضاً للهلاك.. وهذا ينطبق على كل الكائنات العضوية في مختلف مناطق الأرض..

إن ظروفاً متغيرة في حياة الإنسان، نتيجة القلق والعصاب، ومشاكل الحياة والبحث عن استقرار في وسط فوضوي، تجعل الإنسان عرضة للموت الفجائي، إضافة إلى إصاباته بأمراض قد تكون قاتلة كالسرطان والسكري، عدا عن الحوادث الفجائية، مثل الانهيارات أو الزلازل أو حوادث سير..

إن أهم الأسئلة التي يهتم بها علم الطبّ حالياً هو كيف يمكن الإبطاء من الشيخوخة..

لقد أظهرت التجارب أن إضافة فيتامين (E إي) أو الهيدروكورتيزون قد يطيل عمر الخلايا، وبالتالي يخفض معدل سرعة الشيخوخة.. ولكن هذا لم يطبق فعلياً على الرغم من أنه يبدو صحيحاً نظرياً..

أثبت العلماء أن خفض زاد السعرات الحرارية للفئران قد يطيل أعمارها، وذلك بإيقاف نموّها في مرحلة الفتوّة..

وعندما تتوفر لهذه الفئران التغذية المناسبة، فإنها تصل إلى مرحلة النضج ثم إلى شيخوخة هادئة طبيعيّة لا منغصات فيها..

بالطبع لا يمكن تطبيق ذلك على البشر، إلا أن المعالجة الغذائية قد تكون عاملاً هاماً في إبطاء الشيخوخة..

فتخفيض البدانة، التي تسبب في الجسم باضطرابات الشحوم والدهون والسكّري وتيبّس الأعضاء.. تخفيض البدانة قد يؤخر الشيخوخة أحياناً ويبطئها..

ورغم محاولات زرع الشعر وشدّ الوجه، واستخدام المساحيق والمنشطات والمغذيات لتأخير الشيخوخة، فإن الشيخوخة قادمة لا محالة والموت بعدها لا مفرّ منه..

مع تقدم السنّ، لا تمتد ذاكرتنا في نموّها، ولكننا نصبح أكثر خبرة في استخدامها.. وشيخوخة الخلايا قد تصل الدماغ بالطبع.. فيفقد الكثير من خلاياه النبيلة التي لا تتبدل..

وهذا ما يجعل الإنسان يشعر بتناقص في قدرة حواسه كالبصر والسمع، ويصبح نطقه بطيئاً، كما أن بعض خلايا ذاكرته تتهشّم، فينسى أحياناً أشياء كثيرة في حياته..

عدا عن شيخوخة الجلد والشرايين والأوردة وأجهزة الجسم الأخرى، التي تضعف بالتدريج قبل أن يصيبها الوهن، ولا تستطيع الخلايا القابلة للتبديل أن تعيد تجديد نفسها..

الوعي الوطني والأزمة

زبير سلطان

نريد التغيير، ونحب الحرية والديمقراطية، ونسعى إلى بناء دولة حديثة عصرية، لكننا, قبل كل هذه الأهداف النبيلة, نريد الوطن، لأنه الأغلى، والأعلى، والأهم. لأن الوطن يعلو فوق كل الشعارات والمطالب. فمن دون الوطن لا تتحقق الأهداف، ولا تجد الديمقراطية وجوداً لها.

نقول ذلك لأننا اليوم باسم تلك الشعارات التي لا يختلف عليها أحد في سورية, هذا الوطن الحبيب, نشهد تدميراً للوطن، وعملاً على تخريبه. تحت ذريعة تلك الشعارات يتم التوغل في أعماقه من أجل تقسيمه إلى أشلاء طائفية وعرقية بغيضة مقيتة, تحقيقاً لمقولة غربية صهيونية عبر عنها كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق في دعوته الولايات المتحدة والغرب إلى تقسيم البلاد العربية من جديد على أسس مذهبية وطائفية متناحرة، معادية بعضها بعضاً. حتى تستطيع الحركة الصهيونية أن تحقق مشروعها الكبير من الفرات إلى النيل، ويبقى كيانها السرطاني في أمن وأمان.

نرى اليوم وطناً تُدمر مؤسساته الرسمية وغير الرسمية العامة منها والخاصة. ويمتد التدمير إلى مدارسه ومشافيه ومراكزه الثقافية، كي تحرق مكتباته وملفاته ودوائره العدلية والجنائية وسجلاته المدنية والعقارية، وتنسف خطوطه الحديدية، ومحطات الطاقة وخطوط النفط والغاز، وتسرق وتنهب المنازل والمعامل والمحلات التجارية، ومخازن الحبوب والطحين والمواد الغذائية، ويتم زرع الرعب والخوف في شوارعه وطرقاته وساحاته من خلال السيارات المفخخة، والألغام الناسفة.

وطننا الغالي الذي سقاه الأجداد والأبناء بالدم والعرق والجهد من أجل أن يبقى عزيزاً كريماً مستقلاً، يغدو اليوم كرة قدم تتقاذفها الدول الكبرى والصغرى. وتتدخل في صناعة أزمته واستمرارها حتى تحقق غاياتها ومصالحها، من دون النظر إلى كونه كياناً دولياً مستقلاً. فتضع تلك الدول كل إمكانياتها البشرية والإعلامية والمادية وأجهزة مخابراتها من أجل تمزيقه إلى أشلاء وكيانات متناحرة، فترسل من يعبث بمقدراته، ويزرع الحقد والكراهية بين أبناء مجتمعه الواحد.

وطن غاب مع الأسف والحسرة عن الكثير من أبنائه الوعي الضروري لحمايته والدفاع عن وحدته واستقلاله. والقيام بالعمل الجاد من أجل وقف النزيف البشري والمادي والاقتصادي والاجتماعي. يا للأسف لم يفهم البعض الهدف الحقيقي للقوى المعادية للوطن في صناعة هذه الأزمة. ولا يزال يتعامى عن الحقيقة.

المطلوب اليوم من كل سوري غيور على وطنه وعي حقيقة الأزمة, وأن يضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار وغاية. وأن يدرك أن علاج الأزمة لا يأتي من واشنطن وباريس ولندن وأنقرة والدوحة وغيرها من العواصم التي لها تاريخ طويل من العداء لهذا الوطن؛ بل يأتي العلاج من إدراك أبناء الوطن المخلصين أن مصلحة الوطن تتطلب الإسراع في إعادة الأمن والسلام إلى مدنه وقراه من خلال اتفاق كل القوى المعارضة والموالية على الجلوس إلى طاولة حوار يضع الوطن فوق كل المصالح الآنية والذاتية، والعمل على إنقاذه من كل المشاريع والمخططات الخارجية التي تسعى إلى تدميره.

المطلوب وعي يدرك حجم التدخل الأجنبي في هذا الوطن، الذي يستغل الحراك الشعبي نحو التغيير والتجديد والديمقراطية؛ فأدخل سمومه في جسم الوطن، بالتحريض الإعلامي والدعم العسكري والمادي لنشر القتل والتدمير والتخريب، والعمل على إضعاف الوطن عسكرياً واقتصادياً ومجتمعياً. وأدخل المرتزقة من كل أنحاء العالم، وأرسل ضباط مخابراته للتدريب والمراقبة. ودفعهم ليزرعوا الرعب والخوف والدمار في كل بقعة من بقاع الوطن السوري.

المطلوب وعي يدرك أن الوطن المعافى هو الذي تزدهر فيه الحرية والديمقراطية تحت ظلال دولة آمنة مستقرة؛ فلا يمكن للديمقراطية أن تأخذ طريقها للتنفيذ والوطن يرمى في مستنقع الحرب والقتل والدمار والتفكك الاجتماعي والدعوة إلى حرب أهلية؛ والديمقراطية تحتاج إلى مناخ مستقر وهادئ، حتى يتسنى الحد الأدنى للمواطن من ممارستها، والإقدام على اختياراته بكل شفافية وحرية.

فأي حرية وديمقراطية تأتيان عبر مناخ ملبد بالنار والقتل والتهديد والخطف والذبح وحرق الأخضر واليابس!؟

نعم, نريد عقداً اجتماعياً جديداً يتضمن مبدأ المواطنة أولاً، وأن تكون الشرعية هي النابعة من إرادة الشعب ثانياً. عقد اجتماعي يقيم دولة أنموذجية في ديمقراطيتها وشرعيتها, تسود مؤسساتها الشفافية والعمل المخلص, نظيفة من كل أشكال الفساد.

وهذا العقد الاجتماعي أيضاً لا يأتي بالصراع المسلح؛ بل عبر الحوار الشامل بين كل مكونات الوطن الاجتماعية والثقافية والسياسية, يضع مصلحة الوطن وحمايته والدفاع عن وحدته واستقلاله وسلمه الاجتماعي بين أولى الأهداف والمطالب.

كل ذلك يدعونا إلى إعادة الطلب بوعي وطني شامل، وبسرعة عاقلة لحماية الوطن ووقف نزيفه؛ فإن لم يحدث هذا الوعي، فالخشية من ندم قاتل ومدمر للجميع بأننا أضعنا الوطن والمصير.

الافتتاحية

حسين جمعة

التطبيع الثقافي إلى أين؟!

لم نشك يوماً في أن الأمة القادرة على تسخير مقدراتها وثروات بلادها وإمكانياتها المتنوعة لنهضتها أمةٌ لا ترهن نفسها للمفاجآت؛ ولا يمكن حرفها عن هدفها؛ وبخاصة إذا صممت على السير الحثيث في طريق بناء المستقبل.. أي إن الأمة التي تسخّر الكفاءات العلمية والثقافية والتقنية و... لخدمة ذاتها وأبنائها ـ من دون التمييز في أصلهم وسلالتهم؛ وعرقهم وثقافتهم التي ينتمون إليها ـ إنما هي أمة حية وقادرة على بناء حضارة يمكنها أن تثري حياة المجتمع الإنساني؛ لأنها خبرت ما تملكه بمثل ما خبرت الطاقة الكامنة عند الأمم الأخرى... فالأمة العظيمة هي التي تستطيع صهر كل الأعراق والثقافات والمذاهب والآراء في بوتقتها لإنتاج تجربتها الخاصة والمتفردة... ولعل تجربة الأمة العربية في العصر العباسي؛ وتجربةُ النهضة الأوروبية الحديثة من أبرز الأدلة على ذلك..

ثم إن إدارة المجتمع والارتقاء به صعوداً في السلم الحضاري فن إنساني راقٍ يتحرر من العصبية والجهل والتطرف والانتماء العشائري والقبلي والطائفي والمذهبي والعرقي.. لأن أي تعصب أو تطرف من أي جهة أو طرف كان إنما ينتج كوارث اجتماعية وفكرية ونفسية واقتصادية لا حصر لها ويمتد تأثيرها المشين إلى آماد طوال.

وإذا كانت الأمة العربية قد اتصفت بمثل ذلك في عصر ما فإنها ما فتئت تطمح من جديد إلى أن تغدو أمة موحَّدة ومستقرة؛ وقوية؛ تسعى إلى تأسيس مجتمعها الديمقراطي وفق قيم العدل والمساواة وسيادة القانون.. وما برحت تراهن على أن التغيير نحو المكانة الحضارية التي تستحقها يتجلى بمظاهر شتى تجعلها تحقق ذاتها ووجودها الفاعل، وتواجه الخطر الماحق للمشروع الصهيوني الذي تتبناه الحركة الصهيونية التي عقدت العزم على استئصال المشروع العربي النهضوي الحديث والقضاء عليه بكل أسلوب مهما كانت قذارته.

وهنا لا بأس أن نقول: إن الحضارة العربية كانت وما زالت تعامل اليهود معاملة إنسانية نبيلة؛ وتحافظ عليهم من الإيذاء وتمنع عنهم الظلم والإساءة التي أذاقوها العربَ الذين لقوا على أيديهم؛ من المظالم والقهر والقتل والتشريد ما لم يلقه إنسان على وجه الأرض ولاسيما بعد ظهور الحركة الصهيونية في مؤتمر (بازل) (1897م) وقبل نشوء دولتها العنصرية الحاقدة عام (1948م) وبعده.

ولعل اللافت للانتباه في هذا المقام أن الدولة الصهيونية ما نشأت ـ تحت ظل العالم وسمعه وبرعاية أوروبية بريطانية ثم أمريكية ـ إلا في ظل العجز العربي وانقسامه، ما شجعها على اعتماد العنف الموجه ضد الفلسطيني؛ مركزة على استئصاله واستيطان أرضه؛ وممارسة عنصرية فاشية شاذة نحوه؛ عنصرية تعدت كل أمر معقول وموضوعي؛ حين جعلت إله السموات والأرض إلهاً لها وحدها، لا كما تعارف الناس إليه بوصفه إله الإنسانية... ثم إن في الكيان الصهيوني آلهة عدة تنبثق من فهم كل مجموعة صهيونية يهودية لها مثل «إله الإشكنازيم الحاريديم، وإله الحاسيديم، وإله اللتواني الذين يعتقدون بأن الحاسيديم ليسوا يهوداً»... وعدّد ـ إن شئت ـ في هذا النمط الاعتقادي ولا حرج، فكل طرف صهيوني متدين يعتقد أن ما يؤمن به هو الصحيح؛ بيد أن التيارات الدينية الصهيونية اجتمعت على مقولة: (شعب الله المختار) وبعض المقولات الأخرى العنصرية التي تجعل اليهودي فوق التصنيف البشري. وذلك ما خلصت إليه الصحيفة الصهيونية (يديعوت أحرونوت) بتاريخ (2012/9/27م) على لسان إعلامي صهيوني معروف..

ولم تكن هذه المقدمة الطويلة عبثاً، ولا سذاجة منَّا؛ فثقافة الصهيوني وعقيدته تؤكدان الحقد المتطرف المجبول في نفوس الصهاينة ضد البشرية عامة والعرب خاصة. ثم إن هذا الحقد الذي أكل قلوب الصهاينة المتطرفين من أجل اجتثاث العنصر العربي من فلسطين يثبت خطأ الرؤية التي ينادي بها بعض المثقفين العرب تحت المزاعم الكاذبة للانفتاح على أهلنا في الضفة الغربية وداخل الخط الأخضر، ولو ختم جواز السفر العربي بالخاتم الإسرائيلي؛ أو تحت دعاوى مزيفة بتقوية ساعد السلطة الفلسطينية لإقامة دولتها المستقلة والحرة على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة؛ أي مازلنا نسمع بعض الأصوات العربية الشاذة التي تمارس عملية تطبيع ثقافي وتربوي على المستويين الرسمي والشعبي، مع عدو عنصري صهيوني موتور لا يقيم للمبادئ الإنسانية عهداً؛ ولا ذمة.. وفي هذا الشأن سننسى ما قيل عن تغيير المناهج التربوية في بعض دول الوطن العربي لتتناسب عمليات المصالحة مع العدو الصهيوني؛ وسنهمل الفعل المريب لحذف آيات الجهاد من مقرر التربية الدينية؛ ولكننا سنشير إلى محو اسم فلسطين من الخريطة الجغرافية في غير ما مكان؛ ليحل محلها اسم (إسرائيل) كما يحصل في عدد من وسائل الإعلام؛ وبعض المصورات الجغرافية التربوية؛ فضلاً عن استضافة عدد من الإعلاميين على القنوات العربية. وفي هذا المجال فقد ظهر اسم (إسرائيل) في كراسين وزعا على طلبة المدارس الابتدائية والإعدادية في الأردن في إطار التوعية الصحية؛ وقد محي ـ أيضاً ـ اسم الأردن كاملاً منهما، وبقيت أسماء بعض مدنه في الخريطة مثل إربد والزرقاء وعمان

البقية ص٢٢

العوامل المهيئة لنهاية «إسرائيل»

يوسف جاد الحق

ليس عسيراً على المراقب الموضوعي للأحداث الجارية والأوضاع القائمة راهناً في المنطقة، وتلك الجارية على قدم وساق في العالم، أن يرى أن بوادر النهاية الحتمية للكيان الصهيوني قد أزفت، إن لم نقل إنها أمست قاب قوسين أو أدنى.

ما أحسبنا في حاجة إلى استعراض نظريات فلسفية، أو مقولات طوبائية، أو تصورات قدرية، أو تمنيات ذاتية ـ وكلها مشروعة وممكنة ـ كالقول مثلاً بأن المصير الحتمي لكل ما هو مخالف لنواميس الطبيعة ومنطق الأشياء لا بد منتهٍ إلى زوال، أو القول بأن ديارنا المقدسة سبق لها أن تعرضت منذ ما قبل التاريخ لأطماع الطامعين، ومن ثم لغزوات لا حصر لها، وكان مصيرها جميعاً الاندحار والاندثار.

وهذه الغزوة اليهودية ـ الغربية لن تكون استثناء، بحال من الأحوال.

قبل هذا أو بعده سوف نعمد إلى إلقاء الضوء على الأسباب الواقعية وعلى العوامل المفضية إلى هذه النهاية، التي تتمثل في ناحيتين، إحداهما محلية ـ إقليمية، وثانيتهما دولية عالمية.

*** العوامل المحلية والإقليمية:**

ونعني بها المعطيات القائمة راهناً والأحداث الجارية والمنتظرة مستقبلاً متمثلة في:

أ ـ الشعب الفلسطيني بصموده الأزلي الذي لن يلين ولن يستكين ولن يسلّم بما آلت إليه قضيته، ولن يتنازل عن حقوقه كاملة في تحرير أرضه من الغاصبين، وعودته, تالياً، إلى وطنه طال الزمان أم قصر. ولقد أثبتت ذلك الأعوام الخمسة والستون الماضية، التي لم يمض يوم واحد منها خارج نطاق معركته الدائمة المتواصلة بلا هوادة، وعلى كل الصعد، مع أشرس عدو عرفته البشرية في إجرامه، ومن ورائه أعتى قوى الشر المتغطرسة والمعادية لهذه الأمة، بكل ما تملك من أدوات البطش، والمال، والإعلام، والتكنولوجيا ـ فضلاً عن الخبث والدهاء والتضليل ونوايا السوء التي لا تبيُّت لنا إلا التآمر والتدبير ـ لإعانة هذا الكيان الطارئ الغريب على بقائه بين ظهرانينا لكي يوفر لها، وله أيضاً, ما شاء من ابتزاز واستغلال لسائر أهل المنطقة من عرب ومسلمين على حدٍّ سواء.

ب ـ المقاومة العربية في لبنان وفلسطين المستمرة على مدى عقود طويلة، وقد أصبحت لديها القدرة، ليس على الصمود فقط في وجه الأعداء، وإنما على إيقاع الهزيمة به في أرض المعركة؛ الأمر الذي لم يكن في حسبانه فيما مضى، أن هذه المقاومة وقد حققت من الانتصارات ما حققت لن تتوقف أبداً قبل تحقيق النصر النهائي.

ج ـ القوى المساندة والداعمة للمقاومة من قبل جهات عربية وإسلامية معروفة، وإن قلَّ عددها؛ إلا أنها تملك من القوة ومن الإرادة ـ وهذه لا تقل أهمية عن القوة ـ ما يمكنها من توفير أسباب القوة بأشكالها المختلفة من عتاد ومال ودعم معنوي للمقاومة.

5 ـ التغير الاستراتيجي في وسائل القتال ونوعية الأسلحة. عملت أمريكا على أن تكون إسرائيل الأقوى عسكرياً من قوى العرب مجتمعين، غير أن بروز سلاح الصواريخ كقوة مكافئة ورادعة لدى المقاومة اللبنانية، والمقاومة الفلسطينية، أبطل مفاعيل تلك الإستراتيجية؛ وكسرت ذلك الحاجز، كما أبطلت ما كانت تباهي به إسرائيل من أن قوتها العسكرية (لا تقهر)؛ وإذ بها تقهر وتتقهقر أمام القوة اللبنانية، وحتى في غزة والعدو (ليس من أمامكم والبحر من ورائكم)؛ بل من سائر أطرافها ومن السماء فوقها.

*** العوامل العالمية والدولية:**

وهي كثيرة متعددة، لكننا سنكتفي بعدد محدود منها:

أ ـ انكفاء الولايات المتحدة الأمريكية إثر خوضها حروباً في بقاع عديدة من العالم، كالعراق وأفغانستان والصومال، وعدم قدرتها على تحقيق الكثير مما هدفت إليه من تلك الحروب. صحيح أنها نجحت في السيطرة على موارد النفط وخطوط إمداده في الخليج، لكن هذا كان بسبب موالاة أهله لأمريكا وخضوعهم لرغباتها، وصحيح أنها نجحت في تدمير البنية الأساسية للدولة العراقية، فقتلت وشردت من أبناء العراق الملايين، كما نهبت ثرواته وأوابده، وحلت جيشه وقوته العسكرية. ذلك كله لصالح العدو الصهيوني ونيابة عنه، لكن الصحيح أيضاً أنها غادرت العراق تجر أذيال الخيبة. ما جلبه العدوان الأمريكي من ويلات ودمار غني عن البيان. لكن ما ينتظرها في أفغانستان هو ما حاق بها من هزيمة في العراق في نهاية المطاف.

ب ـ ظهور مراكز قوى جديدة في العالم مثل روسيا والصين ودول الـ Brix (بريكس)، وما ترتب على هذا من إنهاء حكاية (القطب العالمي الأوحد) الذي طمحت إليه الإدارات الأمريكية من جورج بوش الأب إلى بوش الابن الذي دمرت سياسته أمريكا اقتصادياً وجرت الويلات على الاقتصاد العالمي كله، المشكلة التي لم يعافى منها حتى الآن.

وكان من شأن ذلك تقليص نفوذها على الهيئات الدولية كلها: مجلس الأمن، وهيئة الأمم، وحتى اليونسكو..!

ج ـ تغيُّر النظرة لإسرائيل على نطاقات واسعة جداً في سائر أرجاء العالم، حتى إن استفتاءات جرت في أكثر من مكان، حتى في أوروبا نفسها الضالعة معها تقليدياً ـ أظهرت أن 70% من الرأي العام العالمي ترى في إسرائيل خطراً يهدد السلام العالمي.

وليس لنا أن نغفل الآثار المترتبة على المتغيرات الطارئة ـ سواء منها المحلية أو العالمية ـ على الوضع الإسرائيلي ذاته. من هذه الآثار التي لا يمكن إنكارها:

*** الأثر النفسي:**

وهذا ما خلفته الأحداث والتطورات المتلاحقة منذ تسعينيات القرن الماضي وحتى اليوم. فلقد أصبح كل إسرائيلي فاقداً للإحساس بعنصر الأمن الذي طالما اعتمد عليه قبل ذلك، فهو الآن بات يدرك أن أمنه مهدد، وهو حتى الأمس القريب ـ عدوانهم الأخير على غزة ـ أرغم على النزول إلى الملاجئ، كما رأى قادته أنفسهم يهرعون إلى النزول إلى مخابئهم الخاصة تحت الأرض هرباً من صواريخ غزة التي طالما وصفوها بالهشاشة..! بيد أن صفة الهشاشة هذه أصبحت من سمات (قبتهم الحديدية)..!

*** عامل الخوف على الوجود:**

الإحساس لدى الإسرائيلي بتهديد وجوده، بل وجود (دولته) نفسها، ذلك أنه عايش بنفسه تساقط صواريخ حزب الله عام 2006 على مشارف تل أبيب، من الشمال، كما عايش بالأمس سقوط صواريخ غزة من الجنوب على تل أبيب وعلى القدس وسائر المستوطنات والمدن الإسرائيلية، وهذا يعني أن كل شبر في فلسطين التي اغتصبها اللصوص اليهود أصبحت في متناول الصواريخ القادمة من الشمال ومن الجنوب، ومن يدري ـ بل من المؤكد ـ أن يرى قريباً صواريخ قادمة من الشرق أيضاً. ناهيك عن طائرة (أيوب)، كمقدمة لأسلحة من هذا المستوى سوف تنقض عليه مستقبلاً.

ولنتساءل: منذ متى كانت هذه (الإسرائيل) تصرخ معلنة أنها (تدافع عن نفسها)؟.. إلى درجة أن أمريكا التي استنجدت بها كعادتها كلما تأزمت أمورها حرصت على الإعلان على لسان (السيد) أوباما و(السيدة) كلينتون بأن إسرائيل (تدافع عن نفسها)..! هذا على ما في هذا القول من مغالطة مخزية إذ إن الإدارة الأمريكية تعرف أن إسرائيل هي التي شنت عدوانها على غزة فكيف ـ تكون إذن (مدافعة عن نفسها)..؟ وهل كانت عائلة الدلو بنسائها وأطفالها البالغ عدد أفرادها أحد عشر إنساناً إضافة، إلى مئات القتلى والجرحى الآخرين، هل كان هؤلاء ممن شكلوا خطراً على الكيان الصهيوني فقتلهم (دفاعاً عن نفسها..!)؟

إن عنصر الخوف المستبد اليوم بالإسرائيلي يدفعه إلى التفكير في مصيره النهائي الذي أمسى يراه رأي العين. ومن ثم أصبح معظمهم يحمل جواز سفر إلى بلد أو آخر توطئة للرحيل للنجاة بنفسه وذويه عندما تحين الساعة. قادة (إسرائيل) قبل غيرهم يدركون هذه الحقيقة.

* انكشاف (إسرائيل) أمام العالم كله على حقيقتها العدوانية، ومعرفة أكثر الناس في العالم ـ بعد أن كانوا يجهلون هذا ـ بأنها قامت على أرض فلسطين اغتصاباً، وعلى عمليات مافيات لصوصية شردت شعبها مشتتة إياه في كل مكان من العالم، ملاحقة إياه بالقتل والتدمير حيثما حل، وفي هذا ما فيه من إحساس بالاحتقار لكيانها غير الشرعي، واستنكار لممارساتها العدوانية، وفي الوقت نفسه الانحياز إلى الشعب الفلسطيني تعاطفاً معه، وتضامناً من أجل استعادة حقوقه في وطنه السليب.

هذه العوامل متضافرة، إضافة إلى كثير غيرها مما لا يتسع له المقام تهيئ الظروف والأسباب التي تبشر باقتراب النهاية المحتومة لكيان قام منذ البداية على العدوان غير المسبوق في تاريخ البشرية على شعب مسالم لم يعتد على أحد، عاش على أرضه منذ ما قبل التاريخ.

السَّرِقاتُ الشِّعْريَّةُ:

هل توافق الأفكار والآراء بين الشّعراء سرقة؟

هناء ثابت محمد المداد

ثمة ناحية مهمَّة في تاريخ الشِّعر العربيّ هي السرقات الشّعرية.. وقد تناول الجرجاني هذه الظاهرة الأدبية, شارحاً مسألة السرقات الشعرية التي لم يكن أوّل من تطرَّق إليها، ولم يكن عمله بِدْعاً في هذا المجال.. بل سبقه نقّاد كُثُر؛ لكن له بعض الإضافات وبعض الوقفات على أبيات نَدَرَ أن تفهَّمها غيرُه على الصورة التي فهمها بها الجرجاني.

أشار الجرجاني إلى بعض النقاط هي حصيلة ما درسه غيره في السرقات الأدبية ممّن سبقه.

لكن ما معنى السرقات الشّعرية؟ وكيف فهمها الجرجانيّ؟ وهل يُعدُّ توافق الأفكار والآراء بين الشّعراء من بين السّرقات الشّعرية؟

يرى الجرجاني أنّ مَن لا يفهم هذه السرقات لا يمكن أن يكون ناقداً فذّاً، لأنّه لا يستطيع عندئذ أن يحكم بين الشعراء، وبين من هو سابق ومُبْدع، ومن هو لاحق وسارق.

ويمكن أن نقف عند نصٍّ للجرجاني، لنرى كيف أنّه يُعلي من مكانة الناقد إذا كان عارفاً لهذا الأساس من الأسس النقدية.. فيقول مُتحدّثاً عن تلك السرقات الشّعرية: (هذا داءٌ لا ينهضُ به إلاَّ الناقد البصير، والعالِم المُبرِّز، وليس كلُّ مَن تعرَّض له أدركه، ولا كلُّ مَن أدركه استوفاه واستكمله).

فلا يمكن لأيِّ ناقد أن يلتقط تلك السرقات، وليس كلّ ناقد أدركها واكتشفها يمكن له أن يوفيها حقَّها ويستكملها، فهذا الفنُّ لا يمكن أن يغوص فيه أيُّ ناقد بسيط، فلا بدَّ من أن يكون بارعاً مُتمرِّناً.

ويتابع, فيقول: (ولستَ تُعدُّ من جهابذة الكلام، ونُقَّاد الشِّعر حتى تُميّز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علماً برُتَبِه ومنازله فتفصل بين السَّرَق والغصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتُفرِّق بين المشترك الذي لا يجوز ادِّعاء السَّرق فيه، والمُبْتذل الذي ليس أحدٌ أولى به، وبين المُختصّ الذي حازه المُبتدع فملكه، وأحياهُ السابق فاقتطعه، فصار المُعتدي مختلساً سارقاً، والمشارك له محتذياً تابعاً).

فالجرجاني هنا يوضّح مفهوم السرقات كما يوضِّح أنَّ للسرقات مراتباً ومنازلاً، فالسَّرق والغصب والإغارة والاختلاس هذه كلّها في النهاية تؤدّي إلى السَّرقة، لكنَّ التجديد في هذه المصطلحات التجزيئيّة التي ذكرها.

كما يشير إلى ضرورة التفريق بين المعنى المشترك والمعنى المختص، فالمعنى المشترك هو في متناول أيِّ إنسان، كما أنَّ المعنى المبتذل ليس ملكاً خاصاً بأيِّ إنسان.

أمّا المعنى المختصّ فهو المعنى الذي ابتدعه صاحبُه من دون قولٍ سابق، وذلك كقول بشَّار بن برد: (تقنَّعي بالحُسْن فإنّ الحُسْنَ أحمر)، وكذلك قوله:

كأنَّ مُثار النَّقعِ فوق رؤوسنا
وأسيافُنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

فقد يجد النقاد جذوراً لهذا المعنى، لكنَّ بشَّاراً اختصَّ به فملكه.. والمُعتدي هو مَن أخذ هذا المعنى كاملاً، أمّا المشارك فهو الذي احتذى السابق وتتبّعه بالمعنى ثمَّ أتى به بقالبٍ جديد.

وقد عرض لنا الجرجاني في هذا النّص بعض المصطلحات النقديّة المتعلّقة بالسّرقات الشّعرية، وفصَّل لنا بدقّة معاني تلك المصطلحات.. ومِن إبداع الجرجاني أنّه جعل الأولوية للمختصّ السابق الذي يُبدع المعنى.

لكن ما هي أسس السّرقات الشّعرية؟ وما هي الطُّرق لكشف تلك السّرقات؟ وهل يستطيع أيُّ إنسان أن يُلمَّ بها؟

يُحدِّد الجرجاني تلك الأسس فيذكر منها:

أن يلمَّ الناقدُ برُتَبِ الشّعراء ومنازلهم وعصورهم، وأسبقيّة أوَّلهم على آخرهم.

أن يكون لديه أسس يُفرِّق بها الناقد بين المصطلحات النقدية المهمَّة، وأن يعرف المعاني المشتركة بين الشّعراء (وذلك لأنَّ هناك معانٍ كثيرة مشتركة بين الشّعراء، فيرى الجرجاني ضرورة تمكّن الناقد من التفريق بين تلك المصطلحات).

ويُجيز الجرجاني أيضاً أن يأخذ الشاعرُ معنىً من السابقين ويلبسه ثوباً جديداً من إبداعه، ويصوغه صياغة جديدة، فبهذا الشكل لا يكون سارقاً.

ويمضي الجرجاني مُعلِّلاً قوله عن تلك السرقات بأنَّها داءٌ قديم فيقول: (والسَّرَقُ – أيَّدك اللهُ – داءٌ قديم، وعيبٌ عتيق، وما زال الشّاعر يستعين بخاطر الآخر، ويستمدّ من قريحته، ويعتمد على معناه ولفظه حتى يُوصف بأنَّه سارق).

فإذا كان دأبُ الشاعر الاستعانةَ بقريحة الآخرين، والاستمداد من صورهم حتّى يُطلق عليه بأنَّه سارق.

ويُعبِّر الجرجاني عن تلك السرقات فيوصفها بأنّها داءٌ قديم، لكنّه يخرج بعض المعاني المشتركة من دائرة السرقات، فيرى أنَّ هناك معانٍ تأتي من توارد الأفكار، وهي مطروحة في الطريق – كما يقول الجاحظ – والكلُّ يعلمها ويعرفها، لأنَّ القدماء قد طرقوا أغلب المعاني، لذلك فالإبداع أن تُلبس تلك المعاني لبوساً جديداً وصياغة جديدة، وهذا الرأي من شأنه أن يُخفِّف من معنى السرقة على الشعراء.

وبعد ذلك يقول الجرجاني: (فصار أحدهم إذا أخذ معنىً أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقصر معه عن اختراعه وإبداعه مثله).. ويقصد بقوله: (الأمور).. أي أن يأخذ الشاعر جوهر المعنى ثمَّ يقدّمه في صورة أخرى بثوب جديد.

ويقول أيضاً (أي الجرجاني): (ومتى أنصفتَ علمتَ أنَّ أهل عصرنا ثمَّ العصر الذي بعدنا أقربُ فيه إلى المعذرة وأبعدُ من المذمَّة لأنَّ مَنْ تقدَّمنا قد استغرق المعاني، وسبق إليها وأتى على معظمها، وإنَّما يحصل المُحدث على بقايا، وإمَّا أن تكون تُرِكَتْ رغبةً عنها واستهانةً بها، أو لبُعد مطلبها وتعذُّر الوصول إليها).

نجده هنا يلتمس الأعذار للمحدثين، لكن هل يعني هذا أن يتوقَّف الإبداعُ؟ يتابع الجرجاني ليقول: (ومتى أجهد أحدُنا نفسه، وأتعب خاطره وذهنه في تحسين معنىً يظنّه غريباً مُبتدعاً، ونظم بيتٍ يحسبه فرداً مُخترَعاً، ثمَّ تصفَّح الدواوين لم يخطئْه أن يجده بعينه، أو يجد له مثالاً يغضُّ من حُسنه... لهذا السَّبب أحذرُ على نفسي ولا أرى لغيري بتَّ الحُكمِ على شاعرٍ بالسرقة).

عمر فروخ

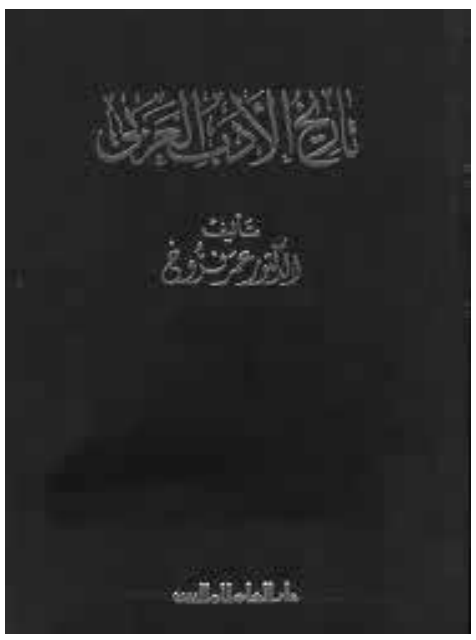

وبعد أن حدَّثنا الجرجاني عن السرقات جاء ليحدِّد ما قد أطلقه قبل ذلك، فهو يريد أن يجعل معنى السرقة ضيِّقاً، وهو يحكم على الشاعر بالسّرقة لأمرٍ حتميٍّ وليس احتماليّاً، فقد نجد لهذا الشّاعر أو غيره معانٍ مشتركة في دواوين أخرى... فهو, الجرجاني, عندما يريد أن يُثبت السرقة يريد أن يكون صادقاً، فلا يحكم على الشاعر بالسرقة بحكم تأخُّره، بل يريد أن يلتزم الحكم الصادق على الشاعر عندما يكون سارقاً بوضوح.

ويردف الجرجاني قائلاً: (إذا وجدتُ في شعره معانٍ كثيرة أجدُها لغيره حكمتُ بأنَّ فيها مأخوذاً لا أُثْبتُه بعينه، ومسروقاً لا يتميَّزُ لي من غيره، وإنَّما أقول: قال فلان: كذا، وقد سبقه إليه فلان.. فأغْتَنِمُ به فضيلة الصدْقِ، وأسلمُ من اقتحام التَّهوُّر).

وهو هنا قد أوضح لنا أنَّه يريد أن يُبرِّئ ساحة شاعرٍ ما (وهو المتنبيّ)، أو أنَّ سببَ قوله هذا لأنَّه قد كانت هناك موجة كبيرة في عصر الجرجاني من السرقات الشعرية، فقد يكون كلامه هذا دعوةً للنقَّاد للكفِّ عن ظلم الشّعراء، وقد تكون هناك احتمالات أخرى لم نصل إليها.

أنواع السَّرِقات:

وقف الجرجانيُّ عند أنواع السَّرِقات، وفي رأيه أنَّ لها أنواعاً، فقسَّمها إلى ممدوحةٍ ومذمومة، وهذه السّرقات.. لها مواضع:

- المعاني المشتركة بين الشُّعراء: من حقِّ كلِّ شاعرٍ أن يأخذها، كصفات المرأة الحسناء، وتشبيهها بالبدر، وغير ذلك، وهذه المعاني إذا طرقها أكثرُ من شاعرٍ فإنَّ ذلك لا يعني أنَّ أحداً من هؤلاء سرقها من الآخر.

-الزِّيادة: وتكون في المعنى، وذلك بأن يغيِّرَ الشَّاعرُ على معنىً قديمٍ فيأخذَ منه بذور الفكرة، ثمَّ يضيفَ إليها ويلبسها لَبُوساً جديداً.

يقول الجُرْجانيّ: (من ذلك قولُ العبَّاسِ بنِ الأحنف:

الجرجاني

بَكَتْ غَيْرَ آنِسَةٍ بالبُكا
تَــرَى الــدَّمْــعَ في
مُقْلَتَيْها غريبا
أخذه المتنبِّيُ وزاد فيه، فقال:
أتَتْهُنَّ المصائبُ غافلاتٍ
فدَمْعُ الحُزْنِ في دَمْعِ الدَّلالِ
فزادَ وأحسَنَ، وأمْلَحَ بذكرِ الدَّلال

فالمعنى واحد، لكنّ صورة المتنبِّي مُبْدَعَة، فقد أخذ المعنى وزاد عليه، فأتى بصورةٍ جديدة، لهذا عدَّها الجُرْجانيُّ من السَّرقات الممدوحة.

وقد تكون الزِّيادة لتأكيد معنى سابق، فقد يُعْجَبُ الشّاعرُ المتأخِّر بمعنى لشاعرٍ متقدِّم، فيأتي به ويزيد عليه مؤكّداً لَه، فيعترفُ لصاحبه به، وهذا أيضاً من السَّرِقات الممدوحة، وبرأي

البقية ص٢٢

"أدب الأطفال وثقافتهم"

النيّات السليمة وحدَها لا تكفي !

وجيه حسن

من المسلّم به أنّ الأدب ـ بوجه عامّ ـ إنما هو تصوير أو تعبير عن الحياة والفكر والوجدان والمشاعر، وهو رسالة تُقدَّم لخدمة المجتمع والإنسانيّة، وأدب الأطفال ـ بطبيعة الحال ـ جزء من ذلك الأدب، إلا أنه موجَّه بصورة خاصة إلى فئة معيّنة من صغار السنّ، الذين يختلفون عن فئة الكبار من حيث العقل والخبرة والإدراك والعمر كمّاً ونوعاً. والمتتبّع لأدب الأطفال يجد أنّ الفلسفة الواضحة لهذا الأدب، بدأت مع نداء الفيلسوف الفرنسي «جان جاك روسو» (1712ـ1778م)، الذي نادى "بأنّ هدف التربية هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش، وأنْ تُترك الفرصة للأطفال لتنمية مواهبهم الطبيعية، وأنْ تُـقدّم لهم المعلومات التي هم في حاجة ماسّة إليها.."، وفي هذا السياق قُدّمت العديد من الكتب والمعلومات والدراسات للأطفال، ولكنها كانت في معظمها بعيدة عن الحكايات وقصص الخيال، فكانت بالتالي متجاهلة لمشاعر الأطفال وأحاسيسهم. ومع كل هذا وذاك "فلقد زال من الأوهام وهمُ الترفّع عن أدب الأطفال، والتقى بذلك وعي المربّين ورجال التعليم ورغبتهم في أن يكون حظ الناشئين العرب من متعة القراءة والاطلاع حظ النشء في الأمم المتحضرة فأقبلوا يكتبون للأطفال" (1). وأدب الأطفال غير منفصل عن أدب الكبار، فهو حكاية أو أغنية شعبيّة أو مؤلفة «تعبيرات أدبيّة خالصة»، ونتائج للدوافع التي تخرج عن الذهن الخلاّق عند الأديب الفنان.. و«أدب الأطفال لا يمكن أن يكون له تعريف مستقلّ، بل يندرج في إطار الأدب العامّ، وهو مرتبط بالكتاب والقارئ.. والأدب يُعرَّف بأنه تجربة القارئ حين يتفاعل مع النفس طبقاً لمعانيه الخاصّة ومقاصده ودلالاتـه»(2). وأعـرف كما يعرف كثيرون أنّ أدب الأطفال يؤلف أداة قوية من أدوات تنشئة الطفولة، لأنها عماد المستقبل والأمل المنشود لأيّة أمة، ولا بدّ من دعوة الهيئات والمؤسسات الرسمية والشعبيّة وغيرها في أقطارنا العربية إلى تنمية طاقات الإبداع والتفكير والابتكار لدى الدارسين والباحثين في مجال أدب الأطفال، والعمل على إيصال ألوان الثقافة إليهم، لأنّ كلّ ذلك يعود على مجتمعنا العربي من مائه إلى الماء بالخير والتقدّم والنّماء، ومن أسف القول: إنّ مثل هذه الأمور غير متوافرة في معظم أقطار العرب، حيث لا يتوافر التشجيع الكافي للباحثين في مثل هذه الميادين التي من شأنها الرفع من مستوى تفكير الطفل العربي وثقافته، ولقد خرجت الدراسات الاجتماعية اليوم بنتيجة مهمّة للغاية في مجال التربية وعلم النفس وهي: «أنّ حجر الأساس في بناء الإنسان الجديد يبدأ من الطفل». وللإنصاف فإنّ دولاً عربيّة بعينها وعت أهمية الطفولة، والدور الذي يقوم به الطفل المثقف في بناء مستقبل بلاده عندما يشبّ عن الطوق ويدخل عالم الشباب والرشد! ومما لا شك فيه أنّ كاتب أدب الأطفال هو مربٍّ قبل أن يكون كاتباً أو مؤلفاً، كما أنه ليس هناك فروق أساسية بالمقوّمات الأدبية والفنية بين أدب الراشدين وأدب الأطفال، فالمقوّمات تكاد أن تكون واحدة، وإذا عرفنا أنّ مقوّمات القصة تتمثل في «الفكرة، الشخصيّات، والحوار، والمعمار القصصي» فإنّ هذا التوصيف ينطبق على أدب الأطفال أيضاً، مثلما ينطبق على أدب الراشدين في شعره ونثره بـآنٍ. وفي هذا السياق «فإنّ الكتابة للأطفال يجب أن تراعي أنّ المبدأ الأساسي، هو الارتقاء بسلوك الأطفال..»(3). وعليه فإنّ الأسلوب الجميل السهل السلس في الكتابة، يدعو الأطفال إلى التشبث بعادة القراءة والمطالعة لتتسع آفاق الخيال عندهم، وتنمو لديهم المقدرة على تذوّق الجمال ومعرفة الحق والخير والقيم الفاضلة التي تزدان بها الحياة. وعلى أيّة حال، فإننا نردّد بموافقة تامة ما قاله الكاتب السوري«نزار نجار»: «إنّ أناشيد الأطفال لن تكون ناجحة ما لم تتحرّك الفكرة منها في إطار قصصي جميل، ثمّ أن تكون الفكرة في منتهى الشفافيّة والدقة». ولعلّ النشيد التالي للشاعر السوري«سليمان العيسى» يعطي انطباعاً جميلاً وتأثيراً بليغاً ويحقق ما نصبو إليه:

جينا يا نهرَ الأفراح جينا..
مروان أقوى سبّاح فينا..
جينا نسبحْ..
جينا نمرحْ..
يا نهرَ الأطفال..
اسمحْ يا نهرَ الأطفال.. نشرب
اسمحْ بالماءِ السّلسال.. نلعب
يا نهرَ الأطفال..

فالطفل بطبيعته يعشق الأنغام والألحان، وتلذّ له الإيقاعات الموسيقيّة التي تترنّم بها أمّه، ويلذّ له سماع ما تشدو من أغنيات على مسامعه، فيشعر بالرضى وتسري المتعة في جوانحه، فينام قرير العين مع صدى الألحان.

ففي الشتاء يفرح الأطفال لبواكير الموسم فيغنّون:

شتّي وزِيدي بيتنا حَدِيدي
عمّنا عبد الله كَسَرَ الجَرَّه
ورزّقنا على الله

وعندما يأتي العيد يردّدون ببراءتهم المعهودة:

بُكرَه العِيد بنْعيّد بنذبخ بقرة سعَيّد
وسعَيّد ما لو بقرة بنذبخ بِنْتو ها الشّقرا
كما يردّدون بصوت جماعيّ طريّ عذب:
يا طالع الشجرة هاتْ لي معَك بقرة
تحلبْ وتسقيْني بِالمِلعَقة الصّيني

والأسئلة المتواترة في هذا السياق هي: ما الذي يجعل مثل هذه الأغاني القصيرة، ذات المعاني الغامضة ملتصقة بحياة الأطفال؟ هل يفهمون معانيَها وأبعادها؟ هل تثير أخيلتهم؟ تقول الباحثة والكاتبة الأردنية «هيفاء خليل شرايحة»: «.. كم يتعبنا أطفالنا لشدّة ما يلتذّون ويستغرقون في ألعابهم وأغانيهم، فالكبار هم الذين يصنعون (أدب الأطفال) لكنّ الصغار هم الذين يكتبون له الخلـود»(4). وقد كانت «آنا فرُويد» ـ البنت الكبرى للطبيب والفيلسوف النمساوي «سيغموند فرُويد 1856ـ1939م"، ترى "أنّ أكبر أخطاء والدها أنه كان يضع عقله في عقول الأطفال". ولكي ينجح أديب الأطفال ـ شاعراً كـان أم ناثراً ـ لا بـدّ أن يمزج تجربته الكتابية بالمعايشة اللصيقة مع الأطفال، وإنّ أدب الأطفال مَعِيْن لا ينضب من التجربة ومعرفة الأطفال وعالمهم عن كثب، وفي هذا يتحمّل الكاتب مسؤولية كبيرة وهي تتضاعف كلّما وجّه أدبه للأطفال. "ولو سُئِل الشاعر المرحوم نزار قباني في حياته: لماذا لم تكتب شعراً للأطفال؟ لأجاب: كيف أكتب لهم وأنا واحد منهم، أكتب بطباشيرهم وأرسم بأقلامهم وأحاول أن أتحدّث بلغتهم"(5). فالكاتب الجيّد إذاً هو الذي يعيش بيئة الأطـفـال، ويتعامل معهم من واقعهم المَعِيش ومستواهم الذهني والزمني، وليس ذاك الذي يكتب لهم من بُرْجه العاجيّ العالي، وفي هذا الإطار يقول الشاعر المصري «محمد الهراوي» في الطفولة:

لا تظنّوني صغيراً ليسَ قلبي بالصّغير
يَسعُ النّاسَ وِداداً مـِنْ صغيرٍ وَكبير

وأدب الأطفال الجيّد هو الذي يراعي خصائص الطفولة، واحتياجاتها في إطار من المُثل والقيم والنماذج والانطباعات السليمة، وذلك عن طريق تقديم أنماط جيّدة للسلوك والتصرّف من خلال شخصيّات أبطال القصص التي يشعر الطفل نحوهم بالحبّ والتقدير والتقليد والإعجاب.. ومـن هنا «فـإنّ أفضل ما يقدّم للأطفال من القصص: قصص تنطوي أحداثها على حقائق تستحقّ أن تُخلّد، وتلهم الحياة الشعوريّة الداخلية للإنسان، وهي تلك التي لا تحيي في الأطفال العواطف الحمقاء، أو الشعور الواهي، بل تكوّن فيهم دقة الشعور ورقّة الإحساس»(6). ويبقى الخيال في قصص الأطفال أحد العناصر المهمّة لأدبهم، كما أنّ الغاية من أدب الأطفال ليس إذكاء الخيال وحده فحسب، وإنما تتعداه إلى تزويده بالمعلومات العلمية والسياسية والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية، وإلى توسيع قاموس اللغة لديه. وعليه ـ فإنّ المطلوب من الكبار ـ تشجيع الأطفال فلذات الأكباد على القراءة، واستخدام حوافز من شأنها جعل الطفل يرغب فيها وينشأ على حبّها والتعلق بها أكثر من تعلقه بسواها، ونكون بعملٍ كهذا قد أسدينا واجباً عظيماً نحو أطفالنا بخاصّة، ونحو المجتمع والوطن بعامّة، من أجل أن يغدو وطننا الكبير وطناً سعيداً قارئاً مثقفاً خالياً من أمراض الجهل والتخلف وأنواع السقوط والضَّياع و«البلطجة»... والـحـق يـقال «فـإنّ محاولاتنا فـي مجال أدب الأطفال لا تزال قاصرة.. أقول هذا وعيني على أدب الأطفال العالمي وثقافته، وما أحرزه من تقدّم مذهل فيهما بعد الحرب العالمية الثانية» (7). وعلينا أن نؤكد أنّ الإبـداع الحقيقي هو السمة الأساسيّة التي يجب أن تتوافر في أدب الأطفال، ومن الضروري بمكان أن تواكبه حركة دراسية دائمة، وأن تسايره حركة نقديّة جادّة تقوّمه من عثراته إذا كبا أو إذا حادَ عن الطريق.. على أنّ المأساة الحقيقية تكمن في وجود عددٍ من الكتّاب المتهوّرين الذين يخونون ضمائرهم وضمير أمّتهم بآنٍ.«ولكي يؤدي أدب الأطفال دوره المنشود، لا بدّ وأنْ يتصف بالخصائص التالية:
1) أن يكون هذا الأدب جزءاً من العملية التربوية.
2)الإحاطةبالشروطالثقافيةوالاجتماعيةوالمعرفة العلمية لإنتاج أدب للأطفال، تربوي وإنساني.
3) التعبير بالصورة في أدب الأطفال، يجب ألا يتعارضَ مع مهمته التربوية، ولا مع واقع الحياة ومعطياتها" (8).

وفـي خـتـام هـذا الـبـحـث الـمـتـواضـع، أسـوقُ شيئاً مـن الشعر والنثر الموجَّهَين لـفـلـذات أكـبـادنـا حـبّـات الـقـلـوب:
-الشعر:

قالتْ سَلْـوى هـــذا بابا
حَمَلَ الحَلوَى وَالألْـــعَابَا
بابا رَجُـــلٌ حَسَنُ الخلـقِ
يطلبُ مـِـنّا قوْلَ الصِّـدْقِ
***
دالٌ ألـِفٌ رَاءٌ (دار)
فليَسْلمْ وَطنُ الأحْرَار
مِـنْ كُلِّ عَدُوٍّ غَدَّار

- النثر: كان في إحدى المدارسِ عريفٌ للصفّ، يريد تعليقَ «يافطة» جديدة أهداها إليه أحدُ زملائه التلاميذ، وأمسك عريفُ الصفّ بمسمارٍ يدقّه في الحائط، ومالَ برأسِه فوقع نظرُه على دواةٍ حبرٍ زجاجية كانت على طاولةِ المعلّم، فأمسك بها في يده يدقّ المسمارَ، فانكسرتِ الدّواةُ وأغرقَ الحبرُ ملابسَه، فقال التلاميذُ كلّهم: (هِيه)، ودخلَ المعلمُ وَقالَها معهم!

المراجع والإحالات

1)عبد الغني بدوي، "كامل كيلاني ـ الرائد العربي لأدب الأطفال"، القاهرة، (ص8).
2) د. عبد الحميد يونس، "الأسس الفنيّة للنقد الأدبي" القاهرة، 1966.
3) عبد الرزاق جعفر، "أدب الأطفال" منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق 1979، (ص451).
4) هيفاء خليل شرايحة، "أدب الأطفال ومكتباتهم"، عمّان ـ الأردن، 1979.
5) د. عبد العزيز المقالح، "الوجه الضائع" ـ دراسات عن الأدب والطفل العربي، الطبعة الأولى، بيروت 1985 (ص61).
6) د. علي الحديدي "الأدب وبناء الإنسان"، طرابلس ـ الجامعة الليبيّة، 1973 (ص120+ص121).
7) عبد التواب يوسف ـ تحرير "عبد الواحد علواني"، "ثقافة الطفل.. واقع وآفاق"، (ص60).
8) جلال فاروق الشريف، "تطوير أدب الأطفال"، مجلة "الموقف الأدبي" ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب، العدد (95) العام 1979، (ص7).

السلطان في دائرة الوباء

قراءة في رواية "وباء السلطان" للروائي حسام الدين الخضور

عوض سعود عوض

تتحدث رواية «وباء السلطان» للكاتب حسام الدين خضور عن سجناء، دخلوا السجن وهم مرضى بأمراض مزمنة لا علاج لها، وفي لحظة ما تخلصوا من أمراضهم من دون أي تدخل خارجي، عادوا أصحاء طبيعيين، لهذا بدا الأمر معجزة، ومن هؤلاء خالد عكاري الشاب الأصلع الذي عاد شعره له، ومعن السهلي صاحب الوجه المجدور والمنظر القبيح الذي صار منظره جميلاً. أما أبو وجدي الذي يشكو من تضيق الشريان، فتخلص من شخيره وتضيق شريانه، وشفي أمين العابد من عجزه الجنسي. هذه الحوادث تناقلتها الصحف ووسائل الإعلام في الخارج. أما في الداخل فكان الأمر صدمة للجميع، وأدت إلى تدخل السلطان نفسه لمعرفة ما حصل، واستدعائه بعض وزرائه، فأخذ كلُّ وزير يلقي تبعة عدم إخباره على غيره، كما حصل مع وزيري الإعلام والصحة. حتى وصل الأمر إلى وزير الداخلية الذي رتب أموره في السجون كافة، وعندما قابل السلطان كان لديه ما يقوله، مما مهد له مزيداً من الصلاحيات والسلطات، التي سيوظفها لاحقاً في الوصول إلى رأس الحكم.

المعجزة لم تعد في سجن واحد، بل غدت في السجون كافة، بشهادة قائد الشرطة وغيره، مما سمح بتوجيه أسئلة مفادها: هل السجن مكان للمجرمين أم مكان للإصلاح؟ ولماذا المعجزة في السجون فقط؟! فإذا كانت في السجون السياسية فهذا أمر مفهوم؛ لأنها بيئة خصبة لانتعاش الإيديولوجية، وإعادة تأهيل بعض السجناء وتعليمهم وتثقيفهم؛ بحيث يكون السجن في النهاية مكاناً صالحاً للمعجزة، ولمثل هذه التحولات، فيشفى الناس من جهلهم، ويعرفون حقائق ما يمارس في السجون. حول هذا دار نقاش بين مستشار الملك والسجين السياسي عمر السباك، حول السجن وإمكانية إخراجه ضمن شروطهم (لاحظ ذلك في الصفحات 38 -39 – 40). لهذا غدا السجن وبالاً على السلطان. ونتيجة لذلك استقبل سفير دولة أجنبية متقدمة حضارياً، اتفق معها على إرسال بعثة علمية، تجري بحوثاً تحت إشراف لجنة يسميها السلطان، مما مهد لمجيء وفد علمي لكشف المعجزة وتفسيراتها العلمية، وبعد جهود مضنية وصلوا إلى أن «لا تفسير لمعجزة شفاء المرضى»، أما دينياً وشعبياً فقد فسرت على أنها عملية خلق جديدة من عدم من دون مخلفات. وهذا أدى إلى اللجوء إلى الشعوذة، وإلى علماء الفلك وتعويذاتهم، كما فعلت حليمة التي لم تحبل، لأن زوجها عاقر، إذ استطاع أحدهم أن يصل إلى جسدها وحصل الحمل. زوجها رضي بهذا وصارحها أنه سيعامل مولودها كابنه.

في الرواية هناك السلطان من جهة والمعارضة من جهة أخرى، ومنهم من دعا إلى الطريق الثالث بعيداً عن العنف؛ أما وزير الداخلية فقد تحول من موال للسلطان إلى طامح بالحكم، لأنه وجد الفرصة سانحة لطموحاته التي لا حدود لها. فطالب قائد شرطته وقائد الأمن العام باستثمار هذه الحادثة وتحويل السجون إلى مصحات، وهدفه ألا يعرف الناس الحقيقة التي حجبها عنهم، واستغلاله للمعجزة. وحتى يستعجل في تحقيق مآربه سهل عملية الدعارة، فأوجد مواخير عدة لإمتاع بعض الشخصيات المرموقة وعلى رأسها مواخير خاصة به (لاحظ ذلك في الصفحتين 33 و47)، مما أدى إلى تخريب علاقته بزوجته، التي غدت هامشية، يوفر المال لها، ويعيش مع غيرها. كبرت الفجوة بينهما، أخيراً عاشا منفصلين جنسياً، إذ كان يدعي أن زوجته غير قابلة للتطور، هذا واضح في الصفحتين 57 و58. حتى صديقته الطبيبة لم توافقه على مشاريعه وتطلعاته، نصحته ألا يتابع تآمره على السلطان، حين شاورها وأغراها أن تصير زوجته، بقولها:

- السلطان ليس زوجاً مناسباً.
- ربما تغيرين رأيك وتفكرين بالمجد.
- ليس مجداً.
- ماذا يكون؟
- إنه طغيان.
- ربما كان الطغيان وجهاً آخر للمجد. (من الصفحتين 59 و 60)

يكشف الكاتب في هذه الرواية حقائق تحد من حرية الإنسان ومعتقده، والتدخل في أموره الشخصية، وفي كلمات خطبة الجمعة وموضوعها، إذ تأتيه جاهزة وما عليه سوى إلقائها.

استطاع وزير الداخلية الالتفاف على مطالب الناس الذين خرجوا بمظاهرة، ووكلوا بالنيابة عنهم خمسة أشخاص هم: الشيخ إبراهيم، وأحد رجال الدين المسيحي، وأحد العلمانيين، واثنان من وجوه المدينة. وبحجة عدم استلام مطالبهم إلا في العاصمة، احتجزهم وزير الداخلية. ولم يكتف بذلك؛ بل تدخل في معرفة مرض السلطان، وما يترتب على ذلك، (ص 87 – 88).

أحس السلطان بنفوذ وزير الداخلية الذي يقوى يوماً بعد يوم، فعزله من منصبه وسماه مستشاره الخاص؛ إلا أن هذا سرع من عملية التآمر، لتصل الأمور إلى نهاياتها.

إن المعجزة التي حصلت بشفاء السجناء، أدت إلى أن الكثيرين من الضباط ورجالات الدولة رغبوا في الاستشفاء في السجن. حتى إن السلطان الذي مرض وأخذ الأدوية التي لم تنفعه, لا هي ولا نصائح الأطباء، صار يهذي ويقول خذوني إلى السجن، علماً أن مرضه من دون علة، مرض له علاقة بنفسيته وحياته. آخر شيء قام به السلطان إصدار قانون الاستشفاء في السجون السلطانية، وكان هو أحد الذين دخلها، دخلها للاستشفاء، وبدل أن يشفى مات. فاستلم وزير الداخلية السابق ومستشاره الخاص الحكم بعد ترشيح حزبه له كمرشح وحيد لاستلام السلطة. ولأنه من أسرة صغيرة، بدأ يحط من شأن العائلات والملل والأحزاب والنقابات والحكومة، (ص 120).

عطل السلطان الجديد أجهزة الدولة بهدف إعادة إنتاجها على مقاسه، وهذا لم يكن سهلاً؛ إلا أنه تحقق له، فشكل محكمة موسعة من قضاة مشهود لهم بالعدل والنزاهة للنظر في قضية السلطان السابق ورجال دولته (صفحة 127).

عودة إلى عنوان الرواية «وباء السلطان» الذي أعتبره عنواناً مباشراً وكاشفاً لما سيحدث مع السلطان مستقبلاً؛ فأي قارئ متابع للأدب أو أي ناقد للرواية، سيرد في مخيلته أن السلطان سيحل به وباء أو مرض ما، ويدخل السجن للعلاج، ما دام السجن مكاناً لصنع المعجزة والاستشفاء من الأمراض الصعبة والمستعصية. وعلى هذا فالعنوان يفسر مدلولات الرواية، ومثل هذا لا يمنح الخيال والفن أفقه، لهذا أقول إن العناوين المفضلة ليست التي يقال فيها «المكتوب مقروء من عنوانه»؛ بل العنوانات الإشكالية، التي فيها فن ولغة. العنوان الفني الإشكالي هو العنوان الذي يمنح الرواية أفقاً وتفسيرات لا تحد. أما العنوان الواضح الذي يفسر أحداث الرواية بعد الصفحات الأولى، أو ربما من قراءة العنوان، فهو عنوان مباشر؛ أما المعجزة فأرى أنها رمز، وليست أمراً حاصلاً لا من قريب ولا من بعيد، لا من قبل البشر ولا الجان، ولهذا يمكن تفسير المعجزة وقراءتها مرات عدة، وأعتقد أنها كلها صالحة، وذلك حسب ثقافة الشخص وإلمامه وعمق قراءاته وتفسيراته، فهل المعجزة تعني إعادة خلق الإنسان من جديد عن طريق السجن السياسي والنضال أو تفسيرات أخرى يجتهد غيري فيها، وربما أوافقه الرأي؟! أما السجن فيحمل أكثر من تفسير وكذلك المعجزة. وهذا يدخل في باب اجتهادات النقاد، فأنا لا أوصد الباب، بل أفتحه على مصراعيه أمام نقد بناء لذلك، وأمام افتراضات واستخلاصات فنية تستند إلى معطيات الرواية، والأسئلة التي تطرحها كما في: لماذا الذين تعافوا من أمراضهم كانوا من عامة الناس في السجن، أما الضباط والسلطان فإنهم لم ينعموا بالمعجزة؟! حتى إن السلطان لاقى حتفه في السجن. ألا يؤكد هذا أن السلطان هو رمز للظلم، خاصة إذا عرفنا إن المعجزات حصلت في السجون التي تقف في عداء مع السلطة.

الصراع على السلطة جلي ما بين وزير الداخلية والسلطان، ومع أن وزير الداخلية صار هو السلطان، إلا أن الصراع لم ينته؛ بل ربما بدأ من جديد، خاصة إذا عرفنا من بعض جزئيات الرواية، أن ترشيح الوزير ليصير سلطاناً، جاء من قبل حزب السلطان نفسه كمرشح وحيد، وفي هذا سخرية من هذا التغيير ومن الديمقراطية، إذا سمينا الترشيح والانتخاب ديمقراطية.

اعتمدت الرواية على سرد متقطع يصل أحياناً إلى صفحة واحدة، مما حد من سلاسة السرد والمتابعة، إذ وصلت الترقيمات إلى خمس وخمسين ترقيماً في مئة وسبع وعشرين صفحة، وهذا يؤدي إلى أن الشريط الزمني والسردي قصير. كما اعتمدت على الحوار الخارجي بين شخصين، وذلك لتبيان الحدث أو دوافع الشخصية ودواخلها، وإذا شئنا تعداد الحوارات فإنني أرى أنها أخذت حوالي ربع الرواية، وللتدليل على أهميتها في هذه الرواية آخذ مثالين، الأول حوار الروح مع محضر الأرواح في الصفحتين 106و107:

- أين الخطأ في البلد؟
- هل تعلم أن سلطانكم ضلل طائر التاج؟
- هذه إشاعة روجتها المعارضة لشق صفوف الرعية.
- بل حقيقة، وقد كان جزاء المعارضة التي كشفتها القتل والسجن والتشريد.
- لماذا المعارضة؟ إنما المؤمنون أخوة، إذا تعارض الأخوة تباعدوا وضعفوا.
- قل لسلطانك ثمة آلهة تفعل المعجزات، فليتعظ، العدل أساس الملك.

ويستمر الحوار في الصفحات 108- 109-110 -111 ومن الصفحة 111 الحوار التالي بين وزير الداخلية السابق ومستشار السلطان الحالي والسلطان الذي يقول لمستشاره:

- افعل ما تشاء ودعني على عرشي.
- ما عاد عرشك لقد شغلته وقتاً كافياً.
- إذن تريد التاج.
- ألست جديراً به؟!

أخيراً وجدت أن الرواية تصلح في سردها وأحداثها على الكثير من الحكام. هناك الكثير من الدلائل على ذلك، منها البقاء في الحكم مدة طويلة، وكذلك المعارضة والسجون والتآمر الداخلي، وكذلك قلة القدرات العلمية والطبية والتخلف عن ركب الأمم الأخرى، والنظرة إلى المرأة، والعودة في التفسيرات العلمية إلى الشعوذة والمعجزة والجان والقوة الإعلامية التي في يد السلطان الحاكم.

وباء السلطان - رواية – حسام الدين خضور – تقع في 127 صفحة من القطع المتوسط – في 55 ترقيماً، أما نشر الرواية فبداري نشر هما دار نينوى ودار شرق – غرب، إصدار عام2012

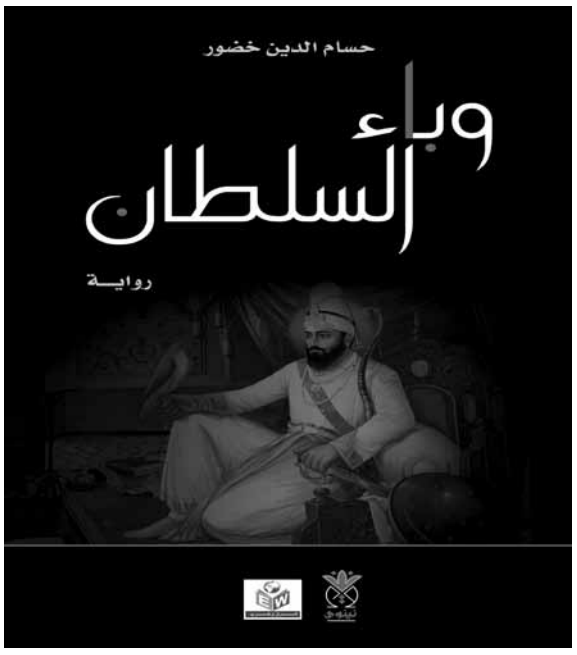

رواية وباء السلطان

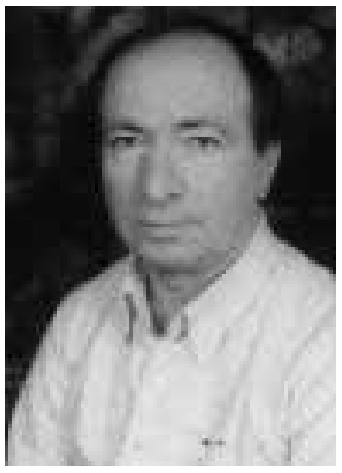
حسام الدين خضور

العَوائق السياسية للحوار مع الغرب

عبد محمد بركو

الحِوَار هو البَديل الحَضاري للصِّدام بين طرفين, ومفهومه هو القبول بأحقِّية الآخر في الاختلاف, وأحقيته في أن يكون له رأيه المستقل الذي لا يُفرض عليه من طرف آخر.

ولعلّ اللَّبنة الأولى من لبنات بناء ثقافة الحِوَار هي الاقتناع التام بالقاعدة القائلة: ((رأيي صواب يحتمل الخطأ, ورأيك خطأ يحتمل الصواب)).

إنَّ الحِوَار طبيعة بشرية بامتياز, وحَاجة إنسانية واجتماعية وثقافية وروحية, ولذلك لم يتوقف الحِوَار معَ الآخر في يوم من الأيام في القرون الماضية, وسيستمر إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها. فالحِوَار حقيقة أساسية من حقائق الوجود الإنساني وضروراته الملحّة, لأنَّ البشرية ليست على جنس أو ثقافة أو دين واحد.

إنَّ تنامي الدعوات إلى الحِوَار مع الغرب في وقتنا الراهن يدل على صحة توجه العقل البشري في انتهاج الحِوَار طريقاً للوصول إلى نتائج مثمرة، تقلل من الخلافات والصدامات وتفسح المجال لصنع التفاهم والتعاون والسلام.

وقد نشأت الحاجة العربية إلى الرأي العام الغربي منذ نكسة يونيو 1967م, عندما تنبّه العرب إلى أهمية الرأي العام الغربي وضرورة مخاطبته ومحاورته لشرح عدالة قضايانا, وذلك لتأثيره البالغ في مجريات الأحداث السياسية.

وقد اقتصر حوارنا معَ الغَرب فترة زمنية طويلة على نخبه السياسية عن طريق الجهود الدبلوماسية في غالب الأحيان، بغية التأثير في مراكز القرار الغربية أو الحدّ من هيمنة اللوبي الصهيوني, من غير الاكتراث بالسياقات الحِوَارية الثقافية والإعلامية مع الشعوب الغربية ونخبها الفكرية والثقافية والإعلامية والشَّعبية.

وشكّلت أحداث 11 سبتمبر 2001م نقطة تاريخية فاصلة في تاريخ العلاقات بين العرب والعالم الغربي, واستدعت مراجعة شاملة لهذه العلاقات من النواحي كافة.

وتبعتها صيحات من مؤسسات ثقافية وإعلامية عربية تدعو إلى الحِوَار مع الغَرب رأباً للصدع، أسفرت عن ندوات ومؤتمرات وإصدارات وبرامج حوارية كثيرة.

ورغم أنَّ ما تحقق في هذا المجال يشكل جهداً لا بأس به؛ إلاَّ أن الأمل في إنجاز المزيد من اللقاءات الحِوَارية والإصدارات والبرامج الإعلامية يشكل رهاناً مستقبلياً لصنع التفاهم والتعاون والسلام بين العرب والعالم الغربي, وقد آنَ الأوان كي يتخذَ الحِوَار العَربي مع العَالم الغَربي طابعاً شَاملاً لمختلف النواحي السياسية والثقافية والإعلامية والدِّينية والشَّعبية, ومتناولاً فئات المجتمع الغربي كافة، ولاسيما نخبه الفكرية والثقافية والإعلامية والسياسية والاجتماعية, فضلاً عن قطاعاته الشَّعبية المختلفة.

وسنقدِّم في هذا البحث تحليلاً تاريخياً لأهم العَوَائق السِّياسية التي كانت وما تزال من أهم عَوائق الحِوَار مع العالم الغربي:

أولاً- الأحداث التاريخية

سَاهمت مجموعة من الأحداث التاريخية سواء أكانت دينية أو سياسية أو اقتصادية في نمو مَشاعر العَداء والكراهية بين العرب والغرب, ومنها على سبيل المثال لا الحصر, الأحداث التالية:

((أ- ظهور النّبي الكريم محمَّد (ص) والتشكيك برسالته.

ب- الحروب الصَّليبية.

ت- محاكم التفتيش الإسبانية بحق العرب والمسلمين بعد سقوط غرناطة 1492م.

ث- الاستعمار الغربي للدول العربية ومحاولة التغريب.

ج- اغتصاب فلسطين 1948م.

ح- ظهور البترول بكميات وفيرة في المنطقة العربية وقطع البترول عن الدول الغربية الداعمة لإسرائيل.

خ- أحداث 11 سبتمبر 2001 واتهام العرب بهذه التفجيرات.

د- العدوان الأمريكي على أفغانستان واستغلال تصرفات منظمة القاعدة.

ذ- العدوان الأمريكي الإسرائيلي على لبنان في تموز 2006))

ويمكننا أن نضيف إلى هذه العوامل: تدنيس القرآن الكريم في معتقل غوانتانامو والعراق, ونشر الرسوم المسيئة للرسول الكريم (ص) في صحيفة «يولاندز بوستن» الدانماركية، ثم في صحف غربية عدّة في شهر فبراير 2006, وإعادة نشرها مجدداً في صحف غربيّة أخرى في شهر فبراير 2008.. الخ.

تصريحات بابا الفاتيكان المسيئة للإسلام والرسول الكريم (ص)، العدوان على قطاع غزة في 27-12-2008م.. الخ.

ومن خلال هذا الاستعراض السريع لعلاقة الغرب بالعرب والمسلمين يتبين أنها ظلّت علاقة متوترة على مدى ألف وأربعمائة سنة, والسبب في هذا التوتر في غالب الأحيان الغرب نفسه, وليس العرب الذين كانوا ولا يزالون ضحية التآمر الغربي الذي مازالت فصوله تتواصلُ يوماً بعد يوم.

ثانياً- الحركة الصهيونية

تشكل الصهيونية في الغرب عضواً من أعضاء القوى العالمية الفوقية بحكم نفوذها الطاغي على البنوك والحكومات والشركات والمعامل الكبرى والأحزاب السياسية.

وقد بَذَلَت جهوداً جبارة لتشويه صورة العرب وتصويرهم كشعب معتدٍ ومتوحش وبدائي, في حين رَفعت شعارات «إسرائيل المسالمة» و«إسرائيل التي تحوِّلُ الصَّحراء إلى جنّة», فكسبت دعم الغرب المادي والمعنوي, وألّبت الرأي العام الغربي على العرب والمسلمين كونهم رموز التخلف والجهل والعنف والتطرف والإرهاب, من خلال قدراتها المالية والإعلامية الهائلة.

وقامت الحركة الصَّهيونية العالمية منذ تأسيسها باستغلال الفراغ الدِّيني في العالم الغربي, والمُصَاحَب في الوقت نفسه بتعصب أعمى, ورصيد الصِّدام التاريخي بين العالمين العربي والغربي في إزكاء حدَّة العَداوة فيما بينهما, وذلك عبرَ وسائل عِدَّة يُجملُها الأستاذ الدكتور «زغلول النَّجار» فيما يلي:

((أ- اختراق الكنيسة الغربية وإقناع القائمين عليها بحتمية قيام دولة لليهود على أرض فلسطين انطلاقاً من نبوءة كاذبة في الكتابات المزورة الموجودة بين أيديهم والتي تدَّعى بأن المسيح (عليه السلام) لن يعود إلى الأرض إلاّ بتحقيق هذا الشرط الذي لا أصل له من دين, أو عرق, أو تاريخ أو منطق , خاصة وأن اليهود لا يعترفون ببعثة السيد المسيح (عليه السلام) فكيف ينتظرون عودته ؟!.

ب- اختراق جدار الإدارة الغربية وأجهزة استخباراتها, وإقناع المسؤولين فيها بأن وحدة العرب والمسلمين تشكل خطراً داهماً على الحضارة الغربية وإنجازاتها, واستشهدوا على ذلك بالفتوحات الإسلامية. وأنَّ هذا الشعب إذا اتحد فسوف يشكل تهديداً للحضارة الغربية, ولهيمنتها على المنطقة وعلى مقدراتها, ومن ثم فيجب العمل دوماً على تفكيك الأمتين العربية والإسلامية بالكيانات الاستيطانية كالكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

ت- الهيمنة على وسائل الإعلام في العالم, وعلى مراكز اتخاذ القرار في العالم الغربي بصفة خاصة, وتحريك ذلك كلّه في اتجاه معاد للعرب والمسلمين, وللتحذير من أية صحوة إسلامية ممكنة في أي جزء من العالم, والعمل على وأدها في مهدها, أو صرفها عن مسارها, أو محاربتها بضراوة حتى لا تتمكن من تنفيذ مخططاتها, وإشاعة الخوف من الإسلام, والتحذير منه, والدعوة إلى محاربته تحت مظلة مصطنعة ومزيفة اسمها محاربة الإرهاب الدولي)) (1).

هَكَذَا, وَعلى هذا النحو المنهجي الخبيث عَمِلَت الحَركة الصَّهيونية العالمية على تشويه صورة العرب والمسلمين, واستثارة القوى الكبرى في العالم – وفي مقدمتها العالم الغربي – للدّخول في سلسلة من المعارك المتصلة مع المسلمين.

وقد تَزَعَّمَ هذه الحملة المسعورة على الصّعيد الفكري والسياسي مجموعة من غلاة الصَّهاينة من أمثال: برنارد لويس, وصموئيل هنتنجتون, وهنري كيسنجر, وزبيغنو بريجنسكي, وجوزيف هوفمان, وجوديث ميللر, ودانيال بايبسي, وغيرهم.

ثالثاً- النَّظريات الفكرية الغَربية الصِّدامية

لعبت بعض النظريات الفكرية الغربية الصِّدَامية مع العرب والمسلمين دوراً سلبياً مُعيقاً لثقافة الحِوَار عموماً والحِوَار مع الغرب خصوصاً, ومن هذه النظريات على سبيل المثال لا الحصر:

أ- نظرية هنتنجتون: صِدام الحضارات

أثار «هنتنجتون» مدير معهد جون أولي للدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد ضجة عالمية كبيرة عندما طرح نظريته حول صِدام الحضارات في مقالة نشرت في مجلة الشؤون الخارجية في صيف 1993, حيث تنبأ بصراعات وحروب في الحاضر والمستقبل.

ويلخّص المفكر الدكتور «خلف الجراد» أطروحة «هنتنجتون» في إطار الفرضيتين التاليتين: ((-إنَّ المصدر الرئيسي للصراعات في عالم ما بعد الحرب الباردة لن يكون – كالسابق – إيديولوجياً أو اقتصادياً, وإنما سيكون ثقافياً وحضارياً.

تبعاً لذلك لا يوجد على قيد الحياة في عالمنا المعاصر سوى ست حضارات أو على الأكثر ثماني وهي: الحضارة الغربية, والكونفوشية, واليابانية, والإسلامية, والهندية, والسلافية – الأرثوذكسية, والأمريكية اللاتينية, وربما الحضارة الأفريقية, ومن بين هذه الحضارات تبقى حضارتان لا يمكن أن تندمجا أو تتعايشا مع حضارة الغرب, وهما الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية)).

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تم التوقف مطوّلاً عند أطروحة «صِدام الحضارات» في تركيزها على محورية الصِّراع والحروب والنزاعات, سواء على مستوى السياسات المحلية كالصراعات العرقية داخل البلد الواحد أو الحضارة الواحدة, أو على المستوى العالمي على شكل صراعات حضارية.

كما ساهمت أطروحة «هنتنجتون» مساهمة سلبية كبيرة في إضعاف مفهوم حِوَار الثقافات, ولا سيما الحِوَار العربي – الغربي عندما وَصَّف «هنتنجتون» علاقة الإسلام بالغرب على أنها عدائية ((حالة شبه حرب)).

ومن نتائج أُطروحة «هنتنجتون» على الدوائر الحاكمة الغربية أن حددت الولايات المتحدة سبع دول «إرهابية» ومن ضمنها خمس دول إسلامية هي: سوريا, العراق, ليبيا, السودان, إيران.. والدولتان الأخريان هما: كوبا وكورية الشمالية.

ولذلك ينبغي ألا يكف الكتّاب العرب عن الردّ على أطروحة «هنتنجتون» الهدّامة, ولاسيما أنها تعرضت لكثير من النقد داخل المجتمعات الغربية, حيث دحضها مجموعة من مفكري الغرب, ومنهم المستشرق الألماني «فريتس شتيبان» الذي رفضها رفضاً تاماً وبالبراهين المقنعة, ومما قاله بهذا الخصوص:

١ النجار, د. زغلول: الإسلام والغرب في كتابات - الغربيين,ص٢١.

((إنَّ هنتنجتون يبني آراءه, بقصد أو بغير قصد, على افتراض مؤداه أن الأديان يواجه بعضها بعض بطريقة لا بد أن تؤدي بالضرورة إلى كل أنواع الصِّراع, بما في ذلك الصِّراعات العنيفة. وأنا في الحقيقة أرفض هذا الافتراض رفضاً تاماً)).

وكذلك المفكر الألماني «هارالد موللر» الذي دحضها دحضاً علمياً محكماً في كتابه ((تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنجتون)).

ب- نظرية فوكوياما: نهاية التاريخ

ادّعى الكاتب الأمريكي «فوكوياما» في كتابه «نهاية التاريخ» أنَّ العالم سيشهد صراعات بعد انتهاء الحرب الباردة, وهي في مجملها صراعات عرقية ودينية في كثير من مناطق العالم، وصراعات متنوعة داخل الدَّولة الواحدة، وهذه الصِّراعات تنبئُ بتمزقات كبرى في الكيان العالمي. مما يسهّل على الولايات المتحدة السيطرة على العالم والهيمنة عليه.

يقول «فوكوياما»: ((إنَّ الحضارة الغربية الحديثة لن تدع مجالاً للبرابرة لتكرار زوال الحضارة الرومانية, وذلك لامتلاكها سلاح العلم لمنع الخطر والتصدي له)).

وإذا استطاع «فوكوياما» أن ينسى أو يتناسى أنَّ الحضارة الغربية الحديثة هي التي أوجدت برابرة اقتصاديين وعسكريين مكان البرابرة التقليديين؛ فإنّه لن يستطيع أن ينسى أو يتناسى أن نظريته قد سقطت مع الأزمة المالية الراهنة التي تعصف بالاقتصاديات الرأسمالية التي عدّ حضارتها نهاية للتاريخ!!

رابعاً- أحداث 11 سبتمبر 2001م

غيّرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م وجه العالم، ووضعت العرب والمسلمين في قلب العاصفة الغربية بعد الحملة الإعلامية الشرسة لربط الإرهاب بالإسلام والعرب.

ومن أهم نتائج أحداث الحادي عشر من سبتمبر أنها أثّرت في العلاقات الإنسانية في المجتمع الأمريكي الذي ارتفعت فيه وتيرة التمييز العنصري ضد العرب والمسلمين.

ومن أهم تداعياتها المباشرة:

أ- غزو أفغانستان.

ب- الحرب العدوانية على العراق.

ت- استخدام الولايات المتحدة عبارة (حرب صليبية ضد الأمة الإسلامية).

ث- الدعم الأمريكي والغربي اللامحدود للكيان الصهيوني.

ومن أهم تداعياتها غير المباشرة:

أ- تعميق مشاعر العداء والكراهية ضد العرب والمسلمين.

ب- إضعاف مفاهيم ثقافة الحِوَار والتفاهم والتسامح.

ت- وأد كل محاولة جادة لحِوَار عربي – غربي.

لقد دفعت الصُّورة المزيفة عن الإسلام والعرب المجتمع الأمريكي إلى التعصب الأعمى ضد المسلمين والعرب وصولاً إلى الرُّهَاب منهم, أو ما سمّي بالإسلاموفوبيا, وصولاً إلى العنف.

وكانت الهستيريا ضد المسلمين والشرق أوسطيين التي أعقبت انفجار «أوكلاهوما سيتي», وتوجيه أصابع الاتهام المباشر إلى «إرهابيين عرب ومسلمين من الشرق الأوسط» التعبير الأكثر دلالة على مدى التشويه الذي يوسم صورة العرب والمسلمين في الفكر الشَّعبي الأميركي؛ إذ لم يتردد أي أميركي في الإسراع باتهام العرب والمسلمين بارتكاب عملية التفجير وعدّهم مذنبين.

تقول الخبيرة الإعلامية الفرنسية «فيرجيني ساندوك»: ((لقد ساهمت وسائل الإعلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في توضيح التناقضات بين الحضارتين الشرقية والغربية.

وأظهرت نتيجة الخوف وانعدام الأمن اللذين تسبب فيهما الإرهاب قراءة خاطئة للحقائق بين الشرق والغرب, وخطاب سياسي وديني وثقافي يستخدم مفردات ضبابية في وقت اختفت فيه الحدود بين القوى السياسية ووسائل الإعلام, وفي مواجهة هذه الأفكار المعدَّة مسبقاً التي تصل إلى الرأي العام عبر عدد من وسائل الإعلام المهمَّة, فإنَّ المصادر المتعددة للمعلومات هي وَحدها الكفيلة بتمكين الرأي العام من تكوين حكم خاص وحر عند قراءته للأحداث)).

وتضيف: ((ساهمت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في تشكيل رؤية الرأي العام للشرق وإثارة المزيد من التوتر. وقد وضع الإرهاب الولايات المتحدة أمام عجزها على ضمان الأمن لمواطنيها.

وكذلك تراجع مستوى التحليل وأصبح كل من تغطية الأحداث واختيار المواضيع مرتبطاً بشكل أكبر بالمصالح المادية للصحف ممّا تسبّب في خسارة الصحافة لمصداقيتها بسبب الآراء المتحيّزة وقلة الموضوعية والكذب والتلاعب.

إنَّ قلة مصادر المعلومات تؤدي إلى تشويه الحقائق, لاسيما تلك المتعلقة بالعالم العربي.

ومن النتائج المباشرة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر تقييد حرية الصحافة, كما أصبحت شبكة الانترنت في مرمى نيران حملة محاربة الإرهاب)).

وحول الموضوع ذاته يقول الصَّحافي البريطاني «روجر هاردي» من شبكة BBC الإخبارية: ((لقد أبرزت أحداث 11 سبتمبر وجسَّدت مواضيع ظلت تشغل وسائل الإعلام على مدى عقدين من الزمان وهي: الخطر المحسوس – للإسلام المتطرف – والاستقطاب بين الإسلام والغرب والريبة من المجتمعات الإسلامية التي تعيش في الغرب.

لقد أثّرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في السياسة الغربية ووسائل الإعلام بما يلي:

أ- النظر إلى الجهاد الأممي على أنه تهديد قائم للغرب.

ب- النظرة إلى المسلمين وخاصة الذين يقيمون في الغرب بنوع من الريبة)).

ولعلَّ في تصريح الكاهن «وليام سنكفورد» من الكنيسة البروتستانتية الأمريكية حول أحداث 11 سبتمبر وقفة صريحة ورؤية نقدية للذات تعدّ موقفاً غربياً متقدماً على طريق الحِوَار, يقول: ((جهلنا للآخر وتجاهلنا لوجوده وعدّنا أنه دوماً صورة لحضارة غير متوافقة مع حضارتنا، بالإضافة إلى دعمنا المطلق لإسرائيل، جعلنا نحن الأمريكيين شركاء في خلق عالم جعل عنف 11 سبتمبر محتملاً ومتخيلاً)).

خامساً- الموقف من الإرهاب

استطاع الإعلام الأمريكي استثمار أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 لتجييش الرأي العام العالمي ضد العرب والمسلمين بحجة الإرهاب.

إنَّ خلط الرأي العام الغربي والنُّخب السياسية الغربية بين المسلمين والإرهاب يفتقر إلى أدنى شروط الموضوعية والإنصاف؛ لأنه لا يمكن أن تكون أمة بأسرها إرهابية؟!

ولعلَّ العالم بأسره يدرك أنَّ من بين المسلمين اليوم من يحمل الفكر المتعصب والمتطرف, وهم قلة، شأنهم في ذلك شأن جميع المجتمعات الإنسانية التي يوجد بين ظهرانيها من يتبنّى هذا الفكر المنحرف. فالتطرف موجود في كل زمان ومكان وفي المجتمعات كافة, ولذلك فوصف شعب أو دين بالإرهاب هو بحد ذاته أعلى مراحل الإرهاب الذي يوجّه نحو أمة بأسرها.

لقد كان هناك قَدر من التوافق العربي والغربي حيال الموقف من الإرهاب, ((فالتعامل مع الإرهاب قضية يرى الجمع العربي والغربي أنها حيوية وهامة ومؤثرة في الأمن القومي والإقليمي بل والأمن العالمي. والثابت أن كلا الجمعين يرفض استخدام العنف ضد المدنيين بغرض تحقيق أهداف سياسية.

وإلى هنا ينتهي الاتفاق العربي والغربي وبعدها يبدأ اختلاف عميق حول تناول الظاهرة, فالعواصم العربية, وبتعبيرات شتى سياسية وإعلامية, تعلن كل يوم أن الإرهاب مجرد عَرَض لظاهرة أكثر جذرية تعود أساساً إلى الصِّراع العربي – الإسرائيلي وأشكال عدة من الممارسات غير العادلة التي يمارسها الغرب ضد العرب والمسلمين)).

وتشهد العمليات الإرهابية عبرَ العالم تراجعاً واضحاً, طبقاً لقاعدة المعلومات التي قدّمتها وزارة الخارجية الأميركية عن «أنماط الإرهاب العالمي», وقاعدة معلومات أخرى قدمتها مؤسسة «راند» الأمريكية, حيث كانت الأحداث الإرهابية خلال عامي 2002 و2003 هي الأقل خلال 32 عاماً.

وهكذا تَراجع الإرهاب الدّولي تراجعاً كبيراً بالمقارنة مع الإرهاب المحلي الذي يعدّ الإرهاب الحقيقي على مستوى العالم, حيث تشير المعطيات التاريخية إلى أن الصراعات داخل الثقافات ربما كانت أقوى وأكبر فيما بينها, وهو ما يعني أن مشكلة الإرهاب كعقبة في طريق الحِوَار تبدو أقل حدّة وهي في طريقها إلى الضعف والزوال.

ومن الضروري جداً أن يُوضِّح المُحَاور العربي الآن لمحاوره الغَربي الفرقَ بين المقاومة المشروعة للاحتلال كما في فلسطين والعراق، وبين الإرهاب المُدَان.

سادساً- تَسييس الحِوَار

تسعى العَديد من الأطراف في العَالم إلى تسييس الحِوَار وتحويله من حِوَار ثقافي هَادف إلى حِوَار سياسي مبطَّن لتحقيق أهداف سياسية وثقافية واقتصادية وإعلامية، أو محاولة جر بعض الثقافات إلى مواقف الثقافات الأخرى وقِيمها بحجة الحِوَار والتواصل.

وهكذا يكون الحِوَار الناتج عن مصالح سياسية واقتصادية آنية حِوَاراً عديم الجدوى والفائدة.

سابعاً- الاستراتيجية الأمريكية والغربية للهيمنة على العرب

تشكل الاستراتيجية الأمريكية والغربية للهيمنة الشاملة على العرب, سياسياً واقتصادياً وثقافياً, عائقاً أساسياً من عوائق الحِوَار كونها تدعو إلى تكريس صراع الثقافات بدلاً من تَحاورها وتَلاقيها.

ثامناً- صُعود الأصوليات الإسلامية والمسيحية واليهودية

إنَّ صعود الأصوليات الإسلامية والمسيحية واليهودية, منذ نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين, يجعل الحِوَار صعباً، لكن في الوقت نفسه فهو أكثر من ضرورة حياتية، ((حيث يشهد العديد من الدّول توترات بين السكان المسيحيين والمسلمين تأخذ شكل صراعات حادة, قوية أحياناً أو أقل حدة أحياناً أخرى. نذكر منها على سبيل المثال: مصر والجزائر، ونيجيريا، وساحل العاج، والتشاد، والسودان، وفلسطين، ولبنان، والدول المنبثقة عن جمهورية يوغسلافيا السابقة، وبلغاريا, وجمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق (جورجيا وأرمينيا وأذربيجان)، والباكستان، والفلبين، والولايات المتحدة الأمريكية، وقبرص، والحبشة، وبعض بلدان أوروبا الغربية (فرنسا وإسبانيا وهولندا والدانمارك وبريطانيا وألمانيا)).

وفي مواجهة هذه الأصوليات المتطرفة لابدَّ من تعزيز الحِوَار وتفعيله, لأنَّ الارتباط وثيق بين صعود هذه الأصوليات المتطرفة وانتشار ظاهرة اللاتسامح.

يقول المفكر « ألفريد.ج. أبير»: ((يتخذ اللاتسامح أشكالاً متعددة: منها ما هو ديني , أو عرقي, أو اجتماعي أو أخلاقي.. ومن الممكن لكل من هذه الأشكال أن يبرز بمفرده, أو متواكباً مع غيره من الأشكال)).

المصادر والمراجع

1 - القين, د. عقيل إبراهيم: مؤتمر الإعلام العربي – رؤية شاملة, وزارة التعليم العالي، دمشق 2004.

2- النجار, د. زغلول: الإسلام والغرب في كتابات الغربيين, ط4، نهضة مصر للنشر، القاهرة 2005.

3 - الجراد, د. خلف: مؤتمر الإعلام العربي – رؤية شاملة ج1, وزارة التعليم العالي, دمشق 2004 ,

4 - شتيبان, فريتس: الإسلام شريكاً, ترجمة: د. عبد الغفار مكاوي, سلسلة عالم المعرفة، العدد 302، الكويت، أبريل 2004 .

5- مولر, هارلد: تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنغتون, ترجمة: د. إبراهيم أبو هشهش, ط1, دار الكتاب المتحدة , بيروت

6- النَّقَري, د. معن: العولمة (الكوكبة) وجوهها وأبعادها, مطبعة اليازجي, دمشق 1999م,

7- ساندوك, فيرجيني: سبتمبر والإعلام الغربي وسوء الفهم , ندوة دور الإعلام في حِوَار العرب والغرب, نظمتها مؤسسة البابطين في الكويت 30-2008/3/31م. لمزيد من المعلومات انظر: www.albabtainprize.org.

8- هاردي, روجر: أحداث سبتمبر والإعلام الغربي, ندوة دور الإعلام في حِوار العرب والغرب, نظمتها مؤسسة البابطين في الكويت 30-2008/3/31م.

9-المرجع الأول.

10- سعيد, د. عبد المنعم: ثقافة الانفتاح على الآخر, بحث منشور في كتاب: ندوة الثقافة وحِوار الحضارات, ج1, مؤسسة البابطين, الكويت 2008.

بين المكابرة والكبرياء

عبد الرزاق عبد الواحد

منذ مجموعتها الأولى كان اتجاهاها النفسي والإبداعي واضحين كل الوضوح في أنها تريد وتأبى!.
مشكلتها آدم, ومشاكساتها مع آدم لا تنتهي، تفرغ عليه أوجاعها كلها، وإخفاقاتها كلها.. تتهمه حتى بخصومتها مع نفسها:

اخلع نظارتكَ سيدي
فحديثكَ من خلف الزجاج مبتور!
(إلى جنتل مان) ص17.

وفي النص نفسه تعود لترتجيه:

حطّم قيودكَ سيدي
وغرّد معي في كرم الورود
كـنْ أنتَ الدوري
لأكون العنقـود

بهذه الكبرياء المغرية تخاطب آدم.. بل تدعوه صريحة:

إدعك فوانيس الوحدة
وانبثق مـارداً
يرمم بقايا أحلامي
(إلى آدم استثنائي) ص13

وأيضاً:

كن ماشـئتَ أن تكون
ولكن....
اجعلني أنثاكَ الوحيدة
(النص نفسه) ص 15

وهي واضحة في علاقتها بآدم كل الوضوح، لا تتستر بالإشارات، ولا تختبئ خلف الاستعارات:

عـشْ دهركَ صائماً
وافطر على تفاحتي..
إرو جذورها حـباً
وطعّـم بذورها حناناً..
لتعرّش على جدران عمركَ
(النص نفسه) ص16

منذ مجموعتها الأولى (إلى آدم فقط..!) وهي هكذا.. تريد وتمتنع.. تندفع وما تلبث أن ترتدع، بوازع من نفسها حيناًوبإشارة من آدم تستفز كبرياءها حيناً آخر.

استغرقت هذه المعاناة مجموعتها الأولى كلها، وكانت شديدة الضجيج عاطفةً وأسلوباً.. وصفَت وتبلورت في مجموعتها الثانية.. هذه التي بين يدي الآن (لبوة الحـرف).

واضح أن هناك قفزة نوعية بين المجموعتين: أولاً, من حيث صفاء التعبير، ودقة رموزه ومدلولاته، وتوفر الشعرية في جمله.. وثانياً, من حيث وضوح الرؤية الذي سببه عندي أنها تصالحت مع نفسها أولاً لتبدأ الصلح مع آدم!

في مجموعتها الثانية هذه، تتنازل سناء الصباغ عن كثير من أسلحتها الهجومية.. وبرشاقة خفية تدعو آدمها إلى المصالحة, بل تطلب منه أن لا يغرق في القطيعة:

يا من ارتضيت حبّكَ ديني..
واتخذت عينيكَ وطني..
أمـا.. آن لنا أن نلتقي..؟!!
(غيم صيف) ص67.

انظر قارئي العزيز إلى هاتين النقطتين اللتين وضعتهما الشاعرة بين (أما) الاستفهامية، وبقية السؤال، لكي ترى إلى أي مدى ما تـزال - في هذه المجموعة أيضاً – تغالب نفسها على الاعتراف بحاجتها إلى آدمها.

هذا ما عنونتُ به قراءتي هذه (بين المكابرة والكبرياء).. إن سنا الصباغ في مجموعتها الأولى كانت مكابرة حدَّ الاستفزاز، تسقط كل إحباطاتها على آدم حتى وهو بعيد عنها كل البعد، وربما لأنه بعيد عنها... وعندي أنها بهذا (الرفض) تصرخ من أعمق أعماقها بحاجتها إليه.

في هذه المجموعة تخلّت «سنا» عن مكابرتها وتمسكت بكبريائها، فصفا صوتها، وسلست عبارتها، وتلونت أكثر بـألوان الطيف الشمسي لصاحبتها, بحيث أوقعت قارئها بين موجتين من المحبة: التغاضي عن هيجانها، والتعاطف مع عذابها.

لاحظ أيها الصديق هذا النص في صفحة 68 من المجموعة (سؤال عقيم).. لاحظ هذا التردد القلِق في كل حرف، والرغبة المتمنعة في كل سطر منذ أول كلمة فيه:

أحبكَ...
أو.. لا؟!

اقرأ النص إلى نهايته لكي ترى كم هي دانية إليه, وكم تستثير نخوة الحب فيه.

وتظل سنا الصباغ هائمة بين ضغط الرغبة الهائل على كينونتها كلها، ورفض روحها الجنوح لهذا الضغط، لإحساس غامض عميق ينبض في كل كلمة تكتبها بأن أي تماس لها بآدم سينتهي بالفشل!

اقرأ كيف تتوسل وفاء الحب في نص (تساؤلات) ص126، ثم كيف تشعر بالخيبة المريرة في النص الذي يليه (ذات صبح ماطر) ص128

فذات صبحٍ متأخرٍ
اكتشفتُ أن عشْتار
آلهةٌ من رخـام!!

أكاد أجزم أن هذه السفينة لن تسلّم أشرعتها لبحّارٍ كائناً ما كان عمق معرفته بأمواج البحر!

هنا أقرّ بأنني توصلت إلى رأي أتمنى أن لا أكون محقاً فيه.. أن كل هذا التمزق والاحـتراق اللذين تعانيهما هذه الأديبة ليسا لأجل آدم, بل لأجل أن تكتب هـذه النصوص، وتواصل كتابتها.. وأنها تخشى – إذا ظفرت بآدم – أن يطفئ هذه الشعلة فيها.. فهي ترغب فيه وتخشاه.. تخشى أن لا يبقي منها سوى :

ولم يبقَ من اللبوة
إلا...
حـرف تمنّي...!!!
(اعتراف) آخر صفحة.

شرفات الشعر في ديوان:
«أرقص من غير فرح»

عوض الأحمد

الشاعر فوزي الشنيور في ديوانه (أرقص من غير فرح) الذي صدر عن اتحاد الكتاب العرب حديثاً، يواصل الكتابة الإبداعية، ليقدّم لنا ما هو ممتع وعذب من نصوص شعرية، وإلى جانب الشعر الوجداني والعاطفي نجد شعر الطبيعة، وشعر المقاومة. وجاء هذا الديوان في عشرين قصيدة طويلة؛ أما عنوان الديوان (أرقصُ من غير فرَح)، فقد جاء ليكشف عن أسرار هذه النصوص، وليقودنا إلى الحقل الدلالي وما تحكمه من تضاد وتنافر وتـرادف واشتمال. والرقـص كما هو معروف مرتبط بالفرح، لكن الشاعر عبر أدواته من على شرفات الشعر أخذ يرقص من غير فرح، ومن خلال أوتار حروفه وكلماته الدالة على حالته النفسية، أما عناوين القصائد فجاء بعضها دالاً موحياً وبعضها غامضاً، ومن هذه العناوين (تلك الغرفة تشبهني، على شرفة الحلم، ما عدت ألبس وجهي، الغدير، وحيداً سأنتظرها، الحلم الذي لا يأتي).

فالعنوان الناجح يمكن أن يكون مفتاحاً مهماً يضاف إلى مفاتيح النص الشعري.

والنص الذي يحمل عنوان (الورود التي تفوح بعطوري) تشغل الطبيعة ومفرداتها انفتاحاً ورحابة في التعبير عن الهم الشعري، بأنموذجها السردي وفهمه العميق لتلك الورود التي تعزز خصوبة التجربة وذاتية الرؤيا في نصه الشعري، فأنسنة الورود وتجسيدها في حياتنا تمنحان هذه الورود خطاباً جمالياً، ولتبدأ اللغة الشعرية في نفث رذاذها وظف الشاعر الفعل المضارع بشكل كثيف في هذا النص (تتناقض، تسرف، تخبئه، تفيض، تمنع، تحاصرني، ترتبني). كما وظف التضادات (تسرف، تخبئه) و(تفيض، وتمنعه)، و(يشكلني، ويشتتني) (الورودُ التي تتناقضُ ألوانها/ في الحديقة/ تسرف بالعطر حيناً/ وحيناً تُخبّئه في الثياب التي ترتديها/ تفيض على الآخرين بما هي تحتاجه من حنين/ وتمنعه حين تغضبُ من كائن ما/ تحدقُ في النّاس/ تدنو إليهم/ وتنأى كأنَّ بها حذراً منهم).

والنص الذي يحمل عنوان الديوان (أرقص من غير فرح) ، هو نص شعري قائم على السرد والحـوار والاستغراق في تصوير الجزئيات؛ فالشاعر يسترسل بالوصف من خلال استلهام أجواء ذاتية خاصة ينسجم مع الأسلوب الحكائي، موظفاً البنية التكرارية في قصيدته الحديثة، لإعادة الفكرة باللفظ، وهذا التكرار الشعري البارع يدل على وعي فني متقدم، ويضفي على النص عناصر إبداعية تحقق له شعرية أكبر، كما يقول الدكتور محمد صابر عبيد في كتابة القصيدة العربية الحديثة.

حيث يكرر الشاعر الجملة الاستفهامية (من قال ذلـك) خمس مـرات، وليحقق الشاعر بهذا التكرار وظيفة التوكيد والتناسق الإيقاعي ومنحه سمة الدلالة دلالية واقعية، وليشكل مظلة شعرية تهيمن على مناخ القصيدة وتحتويها.

(مَنْ قال إن لديَّ غابات/ وإنَّ لديَّ أنهاراً/ وإن لديَّ قنديلاً/ يفيضُ على النهار؟/ من قال ذلك.../ لا يراني/ لا يرى إلاَّ الرُّخام/ من قال ذلك.../ لا يرى إلاَّ التّلاوين التي تخفي الخراب بداخلي/ من قال ذلك).

أما النص الذي يحمل عنوان (على شُرْفة الحُلْم) فيتحدث الشاعر فيه عن ذاتـه وعن الحلم عبر منولوج داخـلي، فهو بهذا يصل إلى الآخرين، من خلال صفاء معرفته؛ فالذات الشاعرة تستحضر الغائبة، وينسحب الماضي، إلى الراهن المهيأ لولادة الفرح، فتصبح الذاكرة المرجع الخصب للتجربة والخبرة والزمن، وتفتح الرؤيا بوابات النص الشعري على نداء قادم من أقاصي الحلم.

في هذا النص نلمس الاستشراف وقراءة الآتي في تشكيل رؤيا الشاعر؛ حيث ينصهر الحلم والواقع، في مزيج واحد.

(على شرفة الحلم، حين يجيء المسا/ ألتقيك بدفق من الحب/ في زورق الليل، فوق تلال الحنين الخصيبة/ أو تحت دالية من دواليه/ منفردين ـ كما نحن ـ إلاَّ من الوجد والأسئلة/ وحيدين نعبر شارعنا ذلك المتلهف دوماً/ لِرنّة أقدامنا).

أما النص الشعري الذي يحمل عنوان (غدير)، فهو نص وصفي عذب جميل للغدير، يكشف الشاعر عن خصائص هـذا الغدير، ويؤنسن الغدير معتمداًعلى الإحساس والذوق، والمشاعر، والعواطف، والأحاسيس، وتنطوي موضوعات وصف الطبيعة وتقلباتها، وأحوالها إلى عناصر هامة كقوة التعبير، ومتانة السبك، وحسن استخدام الصور البلاغية والتشبيهات وقوة النظر ودقة الملاحظة..

(في اللّيل لا يغفو، ولا يغفو إذا طفح الإناءُ/ وفاض ممتلِئاً بأمواج النهار/ هو هكذا/ ممتع بسهاده/ متبرج كالمرأةِ الحسناءِ/ إن جلست على طرفِ السرير/ وفي أصابِعِها انتظار للحبيب/ لو كان يهمس بالكلام/ على الأقـل/ لكان باح لنا بأسرار اللواتي/ يغتسلن بمائه المحفوف/ بالشجر المرصَّع باللجين).

وتصبح المرأة موضوعاً لقصيدته في النص الذي يحمل عنوان (مازلت أنتظر غيومك)، وتغدو المرأة طاقة فاعلة في القصيدة، ويختار الغناء للحبيبة التي تأتي من الحلم، المرأة المخلصة، وتصبح المرأة رمزاً يهيئ له الشاعر مفردات قصيدته وعوالمه؛ فهي وردة الفل التي تختال بدراً، والغيم الذي ينثر نرجساً، وهي التي تُرقص بلبل أحلامه في قلبه الحزين، والليل يكمل عشه في مقلتيها من الحشائش والعـروق، نلحظ كثافة في الصور البلاغية من انحراف وتشبيه واستعارة، والانـحـراف اللغوي يكون وسيلة أساسية للشاعر الحداثي، لكي يخلق تأثيره الجمالي الأدبي، كما أنه وسيلة الإدهاش وإيقاظ انتباه العقل لتأمل الرؤية المطروحة.

وتتكرر الـنـداءات بـأدواتـهـا وأساليبها المختلفة والجمل الإنشائية لتوظيف التواصل مـع نـداءاتـه وأحـوالـه العاشقة الوجدانية والروحية، فتأخذ القصيدة صورة المرأة وصفاتها ومفاتنها؛ فهي الملهمة للشاعر، وتبزغ المرأة بالجمال والرقة والشفافية والخصب والعطاء.

(هي أنتِ مَنْ أصبو لدفءِ أريجها/ وعبيرها/ وردة الفل التي تختال بدراً ـ في حديقة دارنا ـ / بقميصها المنسوجِ من قُطن الضباب/ إني أراك غمائماً وجداولاً/ جاءت بلا وعدٍ/ فقولي للجداولِ أن تخرخر بالهديل/ وللعصافير الوديعة أن تزقزق/ في سماواتي وفي أرضي اليباب....).

تملك قصائد ديوان (أرقُص من غير فرح) إحساساً بالصدق بصورة غير مباشرة؛ مع الإصرار الشديد على الانسجام مع الحياة، وتظهر الرؤية في هذه القصائد كرؤية سردية وانعكاسية للذات.

قراءة في

مسرحية الطوفان لجوان جان

مصطفى صمودي

توصيف للكتاب

كتاب طُبِع في مطبعة إنانا عام 2009 يتألف من 112 صفحة من القطع الكبير لا عنوان له. واكتفى مؤلفه بكتابة العبارة التالية على غلافه «سلسلة المسرح رقم 3» ذاكراً على الغلاف أيضاً اسم المسرحيات الأربع التي يحتويها الكتاب، وهي على الشكل التالي (الطوفان, أجمل رجل غريق في العالم, ليلة التكريم, المعطف) والطوفان هي المسرحية الأولى في الكتاب والتي سنتحدّث عنها وتضمها ثلاثون صفحة من ص /5/ حتى ص/35/.

ملخص المسرحية

يخبرنا المذياع أن طوفاناً قد جرف أكثر من ثلاثين قرية، وهو في طريقه إلى قرية تل الذهب؛ مختار هذه القرية دعا أهلها إلى مضافته للتداول بشأن ما يمكن فعله لتفادي أخطار هذا الطوفان بالسبل الممكنة والمتاحة. وما أن يصل المدعوّون إلى المضافة حتى تبدأ المهاترات الشخصية فيما بينهم، ويبدأ كلٌ منهم نبش سوء أعمال غيره الخفيّة والجليّة بأدقّ تفاصيلها، وكأنّهم تَجَمْعَنوا لِيَتَشَخْصَنوا ناسين هول ما جاؤوا من أجله. وبينما هُمْ على ذلك، يجرف الطوفان القرية. ثم يخبرنا المذياع بعد أن أصبح المكان خراباً أن الطوفان يتابع طريقه باتجاه قرية تل الورد.

الطوفان كعنوان للمسرحية

لما للعنوان من أثر على القارئ؛ لأنه وعاء المحتوى، فقد أكّد الدكتور خالد حسين في كتابه نظرية العنوان أن (أهميّة العنوان تنبثق من حيث هو مؤشر تعريفي وتحديدي، إلى أن يقول: وهو مفاتيح لباب النص الموصد)، فإذا أطلقنا مثلاً عنوان (الاتّساع الضيّق) على نصّ ما، فإن القارئ لا يمكنه - من خلال العنوان هذا - أن يستشف بعض ما في النص إلاّ عن طريق التخمين والظن. لكن عندما نطلق كلمة الطوفان كعنوان فإن القارئ قد يعرف من خلاله بعض أحداث المسرحية أو ما سيحدث في نهايتها على الأقل. وهذا لا يضير. ألم يكن الجمهور المسرحي اليوناني يعرف قصة العرض الذي يحضره تحت أي عنوان كان؟ ثم ألم يعرفْ قرّاء مسرحية الفريد فرج أن سليمان الحلبي سيصرع الجنرال الفرنسي كليبر؟! والأمثلة كثيرة. لكن الجديد عندهم يكمن في المبنى الذي يجسّد المعنى؛ أي في طريقة تناوله. فالإنسان لا يستحم بماء نهر مرتين؛ كما قال (هيراقليطس)، ولا يمكنه أن يعيش مرتين. مرة في نفسه وأخرى في بنيه. ومقولة (لا جديد تحت الشمس) ليست صحيحة, ولو كانت صحيحة لغدا الديناميّ استاتيكياً وتوقفت حركيّة الزمن. وإذا كانت سائر الموجودات متماثلة في الهيولى، فإنها بعضها مختلف عن بعض تمام الاختلاف في الصور؛ أليس من مهام الصورة إحداثُ جَدَدٍ جديدٍ في الهيولى التي تشكلت منها؟

الطوفان كَحَدَث قديم جديد

الطوفان حدث جَلَلٌ حَلّ بسائر الشعوب كما تروي الكتب الدينية التنزيليّة منها والوضعيّة، والكتب الأسطورية والتاريخية باستثناء الفرس الذين لا يعرفون الطوفان على الرغم من وجود شخصية في تراثهم اسمها (أفريدون = نوح).

ففي الفصل الرابع من ملحمة جلجامش تخبرنا الملحمة بطوفان سومريّ قائلة (رأى الآلهة العظام بعد أن مُلئت الأرض جَوْراً وطغياناً أن يحدثوا طوفاناً، وتتابع الملحمة مخاطبة: (أوتونابشتيم): ادخل في السفينة واغلق بابك، إلى أن تقول: واستقر الفلك على جبل نصير = أرارات

الطوفان اليوناني والروماني متماثلان؛ إذ بعد أن مُلِئت الأرض ظلماً وجوراً قرر زيوس إهلاك الحياة على الأرض بطوفان جارف ولم ينج منه سوى دوكاليون.

الطوفان الهندي نتعرّفهُ من خلال حديث السمكة غاشا مع مانو؛ إذ علمته كيف ينجو من الطوفان ببناء سفينة.

الطوفان التوراتي نجده في (الإصحاح السادس والسابع والثامن من سفر التكوين)؛ ولما كان نوحُ ابنَ ستٍّ ومئة سنة، صار طوفان الماء على الأرض، فدخل نوحٌ وبنوهُ وامرأتهُ ونساءُ بيته ومن معه إلى الفلك.

الطوفان المسيحي نجده في إنجيل لوقا إصحاح 17: ودخل نوحُ الفلكَ وجاء الطوفان وأهلك الجميع.

وفي العصر الجاهلي ذكر ابن خلدون في مقدمته شخصية جبارة اسمها عوج بن عنان لم يهلكها الطوفان.

الطوفان الإسلامي حدثتنا عنه كثيرٌ من الآيات الكريمات منها (وإذ أنجيناه من معه في الفلك) (الأعراف 66).

الطوفان الصيني وهو الطوفان الملفت للنظر، وسأقف عنده قليلاً ليس لتميّزه أو بالأحرى لتفرّده فقط؛ بل للمقارنة بينه وبين طوفان المسرحية. سائر الأمم التي داهمها الطوفان استسلمت له، وبنى عقلاؤها السفن لينجوا منه بأنفسهم ومن معهم. لكن الصينيّين لم يفعلوا ذلك؛ فبدل أن يبنوا سفينة، تصدوا له من خلال فكرة طرحها عليهم مهندس مفكر مثقف اسمه /طايو/ أدرك أنه كائن غائي لا (أنطولوجي) لامتلاكه وعياً معرفياً يدرك من خلاله أن قيمة الحياة كائنٌ فيما يصاحبها من وعي. هذا المواطن الاستثنائي عندما أدرك أن النهر الأصفر سيحدث طوفاناً، أمر الصينيين ببناء السدود والترع وبالسرعة القصوى لحجز مياه الطوفان وتحويل بعضها نحو الأراضي الزراعية، فاستجاب الشعب لما أمر، وابتدأ على الفور بالتنفيذ. فاستطاعا معاً (طايو بجديد فكرته والشعب بسرعة استجابته له) أن يُحيلا النقمة إلى نعمةً، وأن يجعلا من الدمار عماراً، ومن الفناء بقاءً.

الطوفان العالمي وطوفان المسرحية

الطوفان العالمي (ثيوقراطي = إلهيّ) غيبيّ جبريّ لا يمكن ردّه لأنه صادر من لدن جبّارٍ قدير ذي انتقام يعاقب به البشر الذين طغوا وبغوا. أما طوفان المسرحية فهو حدث جغرافيّ ذو منبع أرضي كالطوفان الصيني مع اختلاف في الأسباب، ولذا يمكن تلافيه أو تخفيف ضرره، وهذا أضعف الإيمان، إذا قام سكان القرى التي داهمها بفعل ما يجب عليهم فعله.

زمن طوفان المسرحية ومكانها

لم تشر المسرحية إلى (زمن حدوث الطوفان)، لكنّ زمنه يتضحُ من خلال بعض الكلمات والتسميات الواردة في النص كالإصلاح الزراعي, المختار, رئيس الجمعية الفلاّحيّة, الآغا؛ فمن خلال هذه الأسماء يمكننا معرفة زمن حدوثه الذي كان في سَمْت فاصل واصل بين نهاية حكم الإقطاع وبداية عهد الثورة. أمّا إشارة المسرحية إلى مكان حدوثه؛ أي في تل الذهب وما قبلها, فإن هذا لا يهم كثيراً؛ لأن تل الذهب على الرغم من أنها قرية مشخّصة لا مجرّدة, مرئيّة لا ما ورائية في النص، إلاّ أنها لا تخضع إلى زمان متحيّن أو إلى مكان متحيّز؛ فقد لا توجد تسمية

جوان جان

على خارطة ما, لكنها توجد جغرافيّاً منضوية تحت أية تسمية. على كلٍّ سواء أكان الطوفان ماضياً أم راهناً أم آتياً, أو في هذا المكان أو ذاك, وداهم قرية كتل الذهب وما سبقها من قرىً, فلابدّ أن يكون مصيرها المصير نفسه من مبدأ قياس الغائب على الشاهد.

المدرسة الفنية لنص الطوفان

من النصوص ما هو مُبهم, ومنها ما يلفه الغموض, ومنها ما هو رمزيٌّ معقد أو رمزي شفيف, وكلّ منهم ينتمي إلى المدرسة التي كُتِبَ بها: كلاسيكي ملحمي وبريختي لامعقول وبيكتي تجريبيّ وواقعي... ألخ. ونص الطوفان الذي حاول فيه كاتبه أن يستغل الفلاش باك أكثر من مرة, نصٌ ينتمي إلى المدرسة الواقعية, قدمه لنا بأسلوب سَمَا عن الواقع, وبلغة فنية رشيقة مفهومة العبارة واضحة الهدف, ويمكن أن نطلق عليه نص السهل الممتنع؛ ألم يكتب (غوته) إلى (شيلر) العبارة التالية: (إنّ المرء لا يكشف كتاباً, إلاّ في اليوم الذي يفهمه فيه)؟.

شخصيات النص

أنْطَقَ المؤلف شخصياته بحوار يتناسب ومكان كل منهم ومرجعيته (مختار / رئيس مخفر/ أستاذ / شيخ / آغا / آنسة) ألخ... أما على صعيد ما يجب فعله لتلافي الطوفان, فإن سائر شخصياته كانت سلبية الموقف. فلقد صورهم لنا على أنّ كلاً منهم كان يغني على ليلاه ضمن سمفونية من أنغام النشاز. فهذا يغني من مقام النساء كالمختار الذي لا يشغل همه سوى الزواج فوق زوجاته الثلاث, ليكمل نصاب الحلال بزوجة رابعة. ويتضح ذلك من سؤال شهاب رئيس المخفر له (ص11): (كيف حالك يا مختار مع العروس الثالثة؟. أما زلت طامعاً بحسناء قريتنا؟)؛ أي الآنسة وفاء التي يحبها الأستاذ أحمد؛ وذاك أشعبيٌّ يُدنْدِن من مقام موائد الطعام كالشيخ أبو مهران الذي عندما سأله رئيس المخفر: (أين كان غداؤكم اليوم)؟ ينبئنا الحوار أنه كان في وليمة عند راتب الآغا الذي وصفه بقوله: (لا عيني رأت ولا أذني سمعت بأكرم منه) (ص13), (وإذا كره الله عبداً سلّط عليه بطنه)؛ وآخر كان يطلق مواويله على مقام العزّ والجاه الزائلين مجتزأً معادلة طرفاها ما كان عليه وما صار إليه, أي راتب الآغا الذي دافع عن أملاكه؛ ولم يقدم لأبناء القرية منها أرضاً لبناء السد عليها لحماية أملاكه وحماية القرية؛ لأنّ أملاكه كانت في أولها. ورأفت مدير المدرسة السابق الذي كان يغني على وتر الحقد على الجميع؛ لأنه أزيح من منصبه؛ ولست أدري لماذا دُعِيَ إلى الاجتماع؛ لأنه كان حينها صفراً على الشمال لفقده مكانه ومكانته, حتى إن الشاعر المتعلم إن لم أقل المثقف الأستاذ أحمد استغل الاجتماع قبل مجيء أحدٍ للحديث مع الآنسة وفاء مديرة المدرسة الجديدة من أجل الزواج منها. ولم تخرج عن هذه الدائرة التي لفّت الجميع وفاء الآنسة التي جاءت إلى الاجتماع ولا تعرف لماذا دُعِيتْ إليه. ولم يقدّم لنا النص شخصيّةً إيجابية حازمة جازمة كشخصية طايو تحذّر الناس من الحدث الجلل والساعات أو الدقائق العصيبة؛ التي إن لم تستغل بالشكل الأفضل والأمثل وبالسرعة القصوى, فإن الطوفان لن يبقي ولن يذر. لقد نقل المؤلف لنا شخصياته بكينونتها؛ أي بما كانت عليه من غير أن يتدخّل في رسم سَيْرورتها من أجل صيرورتها. وتصوير المؤلف لشخصيات مسرحيته كما هي يذكّرنا بـ(يوربيدس) الذي كان يصور أشخاصه كما هم عليه في الحياة, بعكس (سوفوكليس) الذي كان يصوّرهم كما ينبغوا أن يكونوا. وربّما تقصّد المؤلف أن ينقلهم كما هم عليه ليقول لنا بحِرفيّةٍ: إن سكان تل الذهب المشغولين بترّهاتهم سيبتلعهم الطوفان لأنهم يستحقون ذلك؛ وهذا مبدأ (الكارما - قانون الجزاء في الهندية). لأنّ المقدمات تنبئ بالنتائج من مبدأ ربط العلة بالمعلول.

يلفت نظرك في النص شخصية خليل خادم مضافة المختار صاحب الدعابة اللطيفة القريبة من القلب المحببة إلى النفس لخفّة ظلّه, والذي كان يعقب بومضات برقية على بعض المتحدثين بمبالغات لا تخلو من لطف. مبالغات تجعلك عند سماعك لها تتخطى في الضحك عتبة الإهلاس لتصل إلى مرحلة الافترار حسب تصنيف الثعالبي للضحك. وتذكرنا شخصيتُهُ بشخصية بُهلول (المغفل الأحمق ظاهراً, والعالِم بدقائق الأمور باطناً)؛ إلاّ أنّ عمله كصبّاب قهوة في المضافة لا يسمح له أن يكون صاحب قرار. لكن علينا النظر إلى تعقيباته بعينين لا بعين واحدة, لأن بعض تعقيباته كان بعيداً عن اللباقة. فعندما قال الشيخ لرئيس الجمعية أبو عناد: (نحن لسنا في خربة الغزلان), عقب على ذلك بقوله (نحن في خربة الحمير) (ص20) وكلمة الحمير فيها ما فيها من استهجان. ليس لأنها صدرت منه كونه صبابَ قهوة في مضافة فقط؛ بل لأنهاً استخفافٌ برئيس الجمعية وبكلّ من حوله؛ لأن تعقيبه جاء بصيغة الجمع من خلال الضمير المنفصل (نحن), حتى إنه تطاول في بعض تعقيباته على سيده المختار وأمام الجميع وكأنه هو سيدٌ عليه لا خادمٌ عنده بقوله له (أنت في الأصل لا تؤاخذ) (ص17) ممّا جعل المختار, يحتدّ ويردّ على تعقيبه غير اللائق بغضب شديد سائلاً إياه: (أنا لا أواخذ يا حقير؟!) (ص18).

أسئلة يثيرها النص بعد قراءته

1- خلو النص من المونولوج واعتماده على الديالوج أليس هذا ملحوظة إيجابيةً تسجل للنص لسببين؟! الأول عام, لأن الديالوج أكثر ديناميةً وملاءمة للحوار المسرحي من المونولوج؛ والثاني خاص, لأنه دليلٌ

البقية ص٢٢

أشرف الخريبي:

الناقد الرسمي تحكمه القوانين نفسها التي تحكم رئيس المجلس، ومأمور القسم، والعمدة، والغفير..

حاوره: بسام الطعان

روائي وقاص وناقد مصري، عضو اتحاد الكتاب، حاصل على ليسانس الحقوق عام 1999 تُرجمت بعض أعماله إلى الفرنسية والانكليزية، نشر نتاجه في أغلب الدوريات والمجلات العربية، صدرت له:

1ـ التداعيات ـ مجموعة قصص 1999؛
2ـ ورد الشتاء ـ مجموعة قصص 2000؛
3ـ السيدة الجميلة ـ مجموعة قصص 2006؛
4ـ ذاكرة الجسد ـ مجموعة قصص 2006؛
5ـ أنا وأنت وضمير العالم ـ مجموعة نصوص 2007؛
6ـ قصص الانترنيت وعين الناقد ـ دراسات 2005 جزء أول؛
7ـ قصص الانترنيت وعين الناقد ـ دراسات 2006 جزء ثان؛
8ـ يُحكى أن ـ رواية 2008؛
9ـ التعويذة ـ مجموعة قصصية 2008؛
10ـ مُراهقة الأعمى ـ نصوص 2008.

***أنت كاتب وقاص وناقد، أنجزت أعمالاً إبداعية ونقدية عدة.. ماذا يعني لك كل هذا؟**

** الإبداع حالة من الشك في الوجود، أتبدل في الأشياء وتتبدل فيّ، أحاول والجميع يفعل أن ينجز على مستويات عديدة، ليخدم قضايا واقعه، ومجتمعه، يفعل ما يمكن أن يقدم به انجازاً ما، قد نستطيع تقديم تفسير عن بعض الأجوبة التي أزعم أن لها, أصلاً, أسئلة مُحيرة ومرهقة، ولن تذهب دوماً من الوعي لوضوح الرؤيا أو غيابها فلا فرق، من الصعب أن تتمكن من بلوغ الذروة والوصول إلى فهم عميق، فتظل محاولة بلوغ القمة حلماً وأملاً بالتغيير للأفضل ومهما يكن فسوف تستجيب الرؤيا بهذا الفهم العميق، أتواصل مع ضوء شفاف وأمل بغد أفضل لي وللجميع، أطمح بروح هادئة تُسايرني أو قلقة على أبنائي وإخواني وأصدقائي والآخرين، حضور أتخلى فيه عني من أجل الوجود، استبصار للرؤى، كي أستعذب اللحظات أحياناً، وهذا بحد ذاته يعني قمة هِويتيّ في كل كتاب جديد, ووجودي على هذه الشطوط نفسها في ذلك البحر الكبير.

*يدعي البعض أن القصة القصيرة تعدّ تدريباً يسبق كتابة الرواية. هل هذا صحيح؟

**القصة القصيرة ومضة قريبة جداً جداً من الرواية، وبعيدة كل البعد عنها في الوقت نفسه، لا يمكن أن تكون القصة تدريباً على الرواية، وإن كانت تخدم كاتب الرواية.

القصة لها موقف وطريقة أداء وحس شعوري ومنطق فكري مُختلف عن الرواية، يعتقد البعض أنه يمكن تحويل القصة إلى رواية والفروق بينهما ليست قريبة، أبدًا, فالرواية تقدم موقفاً مختلفاً وبناءً مختلفاً لا يعني قط أن القصة تُدرب كاتبها على كتابة الرواية أو تمهد له الطريق، المسألة مختلفة تماماً برأيي؛ كاتب الرواية يختزل اللحظة والقاص يفترس اللحظة، وأشياء أخرى كثيرة، وكلاهما مبدع بالطبع، ربما تقاربت اللحظات والأبنية واختلفت الطرق، ركوب السيارة ليس تمهيداً لركوب الطائرة. وان عددتها تدريباً فلابد أن يتحول كُتاب القصة إلى كتابة الرواية بما أنها تدريب وليست الفعل الذي يُسهم في الوصول إلى ذروة الفن، ولأصبحت القصة بهذا المعنى تمهيداً كالماجستير للدكتوراه إذا سلمنا بهذا، ولا أتصور أنه صحيح.

***هل تعدّ الذائقة معياراً أساسياً في قراءة النص؟**

**الذائقة أحياناً تحكمها المزاجية وأشياء كثيرة في التلقي؛ من بينها التعامل العميق مع النص وسطحياً مع نص آخر؛ لأنه لا يتفق مع مزاجية التذوق وحالته، لكن من يفرض هذا التعامل؟ إنه النص نفسه ويمكن اعتباره أساس القراءة، فالذوق أو التذوق الفني، يختلف من شخص إلى آخر ومن قراءة إلى أخرى، لكن القراءة النقدية يختلف معها الأمر، هناك نص يأسرك لكنه لا يؤثر فيك، والعكس؛ ما الذي يحكم: هل هو القاعدة النقدية أم الذائقة الشخصية؟

هناك نصوص كثيرة جداً تحمل بُنى فنية رائعة، لكنها لا تأسرك؛ نحن نستمع إلى شعر المتنبي ونستمع إلى أغاني جديدة هذه الأيام؛ هل هناك فرق في التذوق الفني الذي ينبع من تذوق ثقافي؟! أتصور أن الذائقة الشخصية لها تأثير كبير في قراءة النصوص وتقديم الطرح النقدي عنها، لكن للنص نفسه القدرة على تحويل الذائقة إلى الموقف الذي يريد بلوغه الكاتب والتعامل المباشرة مع هذه المعطيات المختلفة.

***ماذا تنقص القصة العربية لتواكب القصة العالمية؟**

**الكتابات العربية عموماً في الشعر والقصة والرواية وحتى النقد الأدبي جميعها ينقصها شيء أساسي؛ ألا وهو الاستقلال والحرية، فنحن متأثرون بالنظريات الفكرية الغربية التي لا طائل من اللهاث خلفها إلا ما ندر، فلا حرية لدينا لنعمل على تأسيس موقف فكري فني جاد ومثمر، ولا نظرية فكرية مُستقرة ومُستقلة؛ هناك فراغ فكريّ كبير، وقمع سلطوي أكبر، وانسحاب ذاتي أعمق، إلى جانب ما لدينا من صراعات حضارية لا يستهان بها، بين قيم عصرية تدعي الصحة وبين قيم قديمة تدعي الصواب، مشكلات تظل تداهمنا طوال الوقت وبلا حل، لا ننجز ونتجاوز هذا الإنجاز، لإنجاز آخر، إنما نظل ننظر إلى الخلف على الدوام، بصورة الماضي، بعين مُترعة بالشك، مليئة بالتوجس، خائفين من المستقبل دوماً، لذا نبقي محبوسين في هذه المرجعيات بلا تطور؛ لدينا هذه الحالة من التبلد الثقافي الذي بلا حراك، اعتماد على المعطى المعرفي من العالم الغربي في العلوم الإنسانية وفي الكتابات الأدبية وحتى في العلوم التكنولوجية؛ بداية علينا أن نتحرر، عبر تفعيل الثقافة بشكل ملموس وحقيقي عربياً وعالمياً، العمل على التبادل المتكافئ مع الأدب العالمي مهم؛ وتقديم النموذج الذي نفتخر به؛ فالثقافة العالمية عموماً تبقي عالمية لأن لها صفات بعينها، هي علاقة لا تتأسس بالعزلة، بينما يكون من المهم التعامل معها بالتداخل والتواصل الحضاري وليس الانقطاع، والنظر من بعيد والنقل بلا هوية حقيقية.

***ما هي اللغة التي تفضلها في الكتابة القصصية؟**

**اللغة في كتابة القصة، هي لغة شعرية – كما أفضل وأطمح إلى تحمل أجواء الأسطورة، فالقصة القصيرة تقوم برأيي على بناء لغوي؛ إنه منطق البناء الأساسي، اللغة بمفهومها المُجمل بهذا الذي يُسمي سحر الكتابة، السحر اللذيذ، فلا لغة بلا سحر يؤرقها ويفضي إليك بحالها, حال الكتابة، إنها الموسيقى, الرقص, الغناء, التأويل, الرؤيا. من هذا المنطق أتصور الكتابة بلغة شفافة، رومانسية، شعرية لا محالة، فما الفرق بيني ككاتب وبين الآخرين؟! ما الذي يميز المبدع؟! إنه اللغة التي يحملها في عمله الفني، يقطر بها أعذب الكلمات وأعمقها، ويؤسس بها بنية ثقافية ومعرفية جد عظيمة، كي تبقي بهذا الشموخ على الدوام، تحمل نزق اللحظة وهذيان الإبداع وأرق المبدع.

***كيف تنظر إلى المنجز القصصي في الوطن العربي اليوم؟**

**أنا متفائل بهذا المنجز؛ ربما هناك تفاوت؛ هذا أكيد لكن هناك إبداعات قصصية وروائية طموحة ومهمة تحاول إنجاز مشروعها السردي برؤى عربية بعيداً عن المنجز العالمي؛ ليس بمعنى البعد بل بمعنى التطوير الفني وتقديم منجز يتجاوز ما سبق، بعين على هذا المنجز العالمي الكبير جداً، هناك كثير من المخلصين للكتابة القصصية والروائية في العالم العربي، تجارب إبداعية وفنية جيدة وطموحة قدمت الكثير من الجهد نعترف به جميعاً، لدينا مواهب كثيرة نحتاج إلى بعض التشجيع والمثابرة ومنح الفرص للجميع، نحتاج إلى ما يحتاج إليه المجتمع من إخلاص وشجاعة وحب حقيقي وثقة بأعمالنا الإبداعية ومشاريعنا الثقافية وبأنفسنا أيضاً، لا بد لنا من عيون تسمع ما سبق، ومن أذن ترى ما قيل، ومن عقول تصوغ فعل الكتابة برهافة وإبداع، علنا نتدارك أخطاءنا الصائبة، والسابقة، ونقدم خطاباً أدبياً يليق بمكانتنا، نموذجاً قوياً مناسباً للمثقف العربي الذي هو روح هذا الواقع وفكره.

أشرف الخريبي

***ما هي الكيفية أو الصيغة التي يجب أن يمارس من خلالها النقد الجيد والحصيف؟**

**عيب النقد أنه يهمش الشعور ليحكم بمنطق, أحياناً, علمي رياضي، ويزيح التخيل على حساب الموضوعي، إلى جانب أنه كعمل مجردّ أصلاً من التعاطف إلا بعد القراءة، وأتصور أن النقد الحقيقي البّناء لا بد أن يتعامل بحرفية وبمهارة وبإنتاج نص تال، الناقد – مبدع ثان للنص, يقرأ بعين حساسة لحالة الأحرف

وشكل المفردات وطريقة الصياغة، وأشكال لا حصر لها. لا بد أن تكون في مُخيلة الناقد أنه أشد من المبدع حرصاً على النص؛ فهو يحبه ويرعاه ويحاوره ويناقشه، ويفعل الأشياء نفسها مع المبدع؛ لا ثبات في النقد، هناك ثوابت في الوعي النقدي، في المفهوم. هناك نظرة فكرية ورؤيا نصية، وذائقة أدبية وأدوات للمبدع وطموح يحمله في خطابه الأدبي، وأدوات يحملها الناقد وطموح أيضاً، لكن هناك مع كل ذلك حب للنص، وقراءة واعية تُحلل المعطيات ولا تصدر أحكاماً، لابد أن ننتبه دوماً، يقرأ المبدع وليس شخصه، يقرأ الكاتب هنا كذات مُبدعة يحاول أن يتعايش مع ذات الكاتب المبدعة إلى جانب النص كعالم متكامل البناء بالطبع، ليقدم موضوعية حقيقية، إذ أردنا أن نقدم إنجازاً نقدياً حقيقياً يحسب لصالح الرؤى النقدية الجيدة والفاعلة.

***لعبت عطاءاتك القصصية دوراً مهماً في إطار القصة المصرية. أين تضع نفسك بين زملائك وزميلاتك؟**

**أنا بينهم وواحد منهم, لا أحكم على عطائي، إنما أعطي وحسب, ولا أنتظر شيئاً في المقابل؛ أحب هذا العمل وأخلص له، هذا هو فقط ما كان ينبغي أن أفعل، أحاول أن أسس ما أطمح إليه. أرى من واجبي أن أقدم شيئاً ما وحسب، أحاسب نفسي أولاً بأول، أتمنى أن نقدم موقفاً جديداً ورؤيا جديدة للحياة الثقافية.

***لماذا كل من يكتب عن الحقيقة في مجتمعاتنا العربية يهاجم بضراوة؟**

**لأن الحقيقة يا سيدي هي الحقيقة فلا أحد منا يفضلها, وليس لدى السلطة بمعناها العام استعداد لسماع الوجه الآخر، ولا حتى السماح له بذلك، والهجوم على الحقيقة منذ الأزل، لم يبرح روحنا ولا عقولنا رغم كل هذه الخصوبة، ومجتمعاتنا العربية في رهانات خاسرة على الدوام، لا تقبل ببساطة أن هذه هي الحقيقة ولا تتماس مع اللحظات وتتوهم الوعي.

***ما مدى استفادتك إبداعياً من البيئة المصرية الغنية والمتنوعة؟! كيف يتم تناولك لهذه البيئة؟**

**هناك ثقافة تفرضها البيئة، ذكريات الطفولة، شجرة الطريق، سور المدرسة، الفلاح يعمل بالأرض، رائحة المكان حين يسكنك بروعته, هل يمكن أن تنسى، أنت من هنا, ابن هذا المكان وهذه البيئة الوفيرة المهمة الغنية بملامح وبصمات وندبات على الجبين، ونحن في بيئة فيها البحر والأرض والزرع، فيها المصانع والمباني والحارات، تسكنك, بما لا يدع مجالاً للشك، بحيرتها وعنفوانها وأنوثتها الباهرة، ورصد كل ذلك مهم للحياة الثقافية؛ لأنه تأريخ للمكان ونقل نوعي للواقع بكل ثقافته التي لا يعرفها الآخر. تتشكل في النصوص وتسكن الجمل لتمثل جغرافيا الهذيان المتواصل لتقيم هذا الترابط الجمالي المقنع، إنها علاقات خفية تتسق وتنسجم مع روح المبدع، أحياناً تسكنني وأحياناً أسكنها.

***كيف تصف المنجز النقدي العربي اليوم، لا سيما في نقد القصة والرواية؟**

**بصفة عامة يشمل تاريخ النقد العربي في القصة القصيرة والرواية عدداً هائلاً من المداخلات الثقافية المهمة في مفاهيم الفن والجمال والسرد، تتباين فيها الرؤى والمقاربات النقدية، لكنني أتصورها في الوقت الراهن ما زالت قاصرة في الدخول إلى حقيقية النصوص، لأنها لا تنبع من خلفيات ثقافية جامدة فقط، بقدر ما تحمل مجاملات هشة وطريقة بليدة في الطرح النقدي، تحمل أحكاماً قيمية مرتبطة بأشياء لا علاقة لها بالنص الأدبي، بقدر ما ارتبطت بذهنية الناقد وتوجهه الأيدلوجي في فهم النص.

***كيف تفهم الأدب، ما المطلوب منه؟**

**الأدب – الكتابة – الوعي يتماهى ويتماشى مع الشغف، الفرح الطفولي لحظات انعتاق إلى العذوبة والشفافية، هذيان متواصل ومتجدد بالفعل هو الذي يعني اللحظات نفسها. والطموح إلى الفعل؛ فعليه أن يخترق الواقع ويكشف الوقائع، ليحمل قيما ثقافية تؤسس للعلاقة مع الآخر ليعبر عن آمال الكاتب وطموحه لإنتاج قيم ثقافية وغرسها في الواقع الثقافي الاجتماعي بهدف انحيازه إلى هذه القيمة.

***لماذا الكتابة في الوطن العربي لا تطعم خبزاً؟**

**لأنها الكتابة هذا المجهول الذي يعني المثقف, والذي يعني الفكر, والذي لا تقبله السلطة إجمالاً؛ لأنه يفكر ويكتب، ويقدم رأياً هو غالباً ضد السلطة السياسية التي لديها القدرة على الدفع، وتقديم الخبز؛ حيث أقترح على الحكومة لحل الأزمة السكانية مثلاً أن تبني طبقات عليا فوق المدارس التي فيها طبقة

واحدة أو طبقتين, طبقات أخرى يسكنها المدرسون مثلاً، أعرف أن هذا تفكير ساذج، لكن ماذا أقول لك وميزانية وزارة الدفاع مثلاً ملايين أضعاف وزارة الثقافة؟! هل ترى؟.. هي أشياء لا تشترى كما يقول أمل دنقل، ثمن المثقف العربي يا سيدي ربما لا يبلغ ثمن وجبة جيدة في مطعم متوسط الحال في وسط العاصمة، من الذي فعل ذلك؟! هنا سوف أتهم المثقف أيضاً الذي ساهم بشكل أو آخر في ذلك على الرغم من أني على يقين بأن لا حيلة له.

***الرواية العربية الراهنة هل هي بخير، أم انحدرت إلى دون المستوى الذي كانت عليه أيام نجيب محفوظ؟**

**ليست المسألة انحداراً في المستوى، بل اختلاف في الرؤى، أو, نكون أكثر دقة, زوايا الرؤيا، هل انحدر فن الشعر منذ أبي نواس أو المتنبي أو طه حسين وأحمد شوقي... الخ؟! إنها مراحل فنية يمر بها الإبداع، منعطفات سياسية وتاريخية واجتماعية تهم المبدع، وتسيطر على أجواء الكتابة لديه، عند يوسف إدريس أو إبراهيم الكوني أو الطاهر وطار, أو أسماء كثيرة تالية: يوسف القعيد جمال الغيطاني خيري شلبي الطيب صالح، تراث جد مهم وعميق يحمل فكراً وروحاً يليه أجيال تحمل كل ذلك التراث الثقافي الهام، وهناك أجيال جديدة تقدم مستويات روائية جادة وتحاول تثبيت موقعها الروائي على الخريطة الثقافية رغم العناء الشديد، لكنها مازالت تحارب بثقة وشجاعة.

***كيف تنظر إلى دور اللغة كإحدى اللبنات في نصوصك؟**

**اللغة أساس البناء، وقد يختلف معي الكثيرون من الكتاب والنقاد أيضاً في ذلك، وهذا حقهم جميعاً، لكنني أؤمن بطاقة التشكيل اللغوي في صنع الدراما والحدث وحتى الشخصيات، أؤمن بأن مفردة صياد وحدها قادرة على هذا النقل المعرفي لهذا العالم.

أعتمد على وعي المتلقي ومشاركته معي في اختيار اللفظ المناسب؛ بل الجملة المناسبة كثيراً، وإذا كانت اللغة هي أداة الفكر ومحتواه، وهي التي تعبر عن طريقة التفكير، وهي تحمل بين أنساقها المختلفة هذا التعبير في شكل صور تتحول إلى مفردات ومعان تحمل مفاهيماً ورؤى؛ فكيف إذا يكون اختياري لها؟! ومع ذلك لا بد للسرد وهو في قمة روعته اللغوية من أن يحافظ في الوقت ذاته على موقف الذات في توجهها اللغوي العميق، وبين الواقع الثقافي من خلال هذه الحدود التي تفصل بين اللغة كموقف ذاتي، وبين الواقع المحيط بها، كي لا يصبح القصد الفني خالياً من توجهه وخطابه الأدبي، ومن الفعل الإيجابي للغة كموقف فني للكاتب.

*هل صحيح أن في العالم العربي نوعين من النقد، نقد ما بعد الأكل ونقد ما قبل الأكل؟

**نعم صحيح جداً هذا الكلام من وجهة نظر ما، وهناك أنواع أخرى مثل قبل النوم وبعد اليقظة، والنقد المدفوع والنقد المجامل والنقد للنقد؛ وأنواع لا حصر لها، لكن هذا النوع الذي تتحدث عنه هو الخطير؛ فكل ما سبق كان مجاملات لطيفة لا خطر فيها، لكن أن تقدم وعياً لا يستحق فوق وعي آخر مهم، فهذا خطر، أما إذا قصدت بالأكل الطعام والشراب فلا نقد قبلهما ولا بعدهما،

***ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الناقد ليكون ناقداً جيداً؟**

**سبق وأجبت عن هذا السؤال في النقد كموضوع؛ فلا شروط في الناقد لأنه مبدع يحمل أدوات، وبالضرورة أنساقاً وأنماطاً من التفكير والرؤى الواضحة في توجهها المعرفي الثقافي والمعرفي الفكري، لا يحمل سيفاً ولا مقصلة لكنه يحمل وعياً متقداً وروحاً شفافة وقلماً جريئاً وعطاء مخلصاً ومتابعة دؤوبة، والناقد الجيد هو الذي يضع نفسه في مكان المبدع أولا ثم لا يقترح، بل يُبدع على النص؛ لا يتفرج من الخارج؛ بل يدخل التفاصيل ويناقش الفكرة والمعنى والبناء؛ يتخلص من هذه الهموم التي أحاطت بنا في عصرنا الحديث من نفي وتذبذب واحتمال وحياد طوال الوقت، حملت معها رتابة وقلقاً وارتباكاً في مفاهيمنا الثقافية لا طائل من وراءها، وما يظهر من النص ليس هو النص؛ ربما بين السطور في كلمة تختفي احتمالات كثيرة، يجب الإفصاح عن الوعي النقدي وطبقاته المختلفة.

*رأيك بالقصة القصيرة جدا، هل يمكن عدّها فناً مستقلاً بذاته؟

**لا أتصور ذلك، نحن نتحدث عن تداخل الأجناس الأدبية من شعر وقصة ومسرح وربما أكثر من ذلك، ولا مجال للفصل الكثير؛ لأن هذا يفسد الفن غالباً؛ فلو عددنا الشعر مثلاً الفصيح والعامي والموزون وغير الموزون (النثر) كل هذه أنواع من كتابات مختلفة، لكنها تحت مُسمى الشعر كفن وكذلك القصة (القصيرة والقصيرة جدا والطويلة.....الخ) لو عددناها جميعاً فنوناً منفصلة لأصبح لدينا قائمة طويلة من فنون لا حصر لها؛ هذه الانقسامات الطويلة والكثيرة تُفسد الفن ولا تطوره؛ برأيي الانفصال في الفن يفسده، وليس لصالحه, أنا مع النصوص التي تتداخل فنياً؛ وتستفيد من منجزات الآخرين؛ ولا تنفصل لتقدم شكلاً آخر، إنما لتقدم مضموناً جديداً وهذا هو الأهم.

***هل لك إستراتيجية تفضلها في قراءاتك النصية؟**

**نعم, أبدأ غالباً من نهاية النص عائداً إلى الخلف مُتصفحاً ومن ثم أبدأ القراءة تالياً بنهم أولا اقرأه أبداً، هناك عبارات تستوقفني وتشعل ذهني ومخيلة القراءة، وتُغريني بالعودة والتأمل وإعادة التصفح والتأمل الواعي لمرات تالية. أذكر أني قمت بقراءة أحد الكتب مرات كثيرة متتالية بلا توقف.

***ما موقفك من الناقد الرسمي الذي تستصدر الدوائر والمؤسسات الرسمية قرارا بتسميته قارئاً وناقداً؟**

**هو زميل، وكأي واقع اجتماعي تحكمه قوانين ومعطيات، هو يفعل أحياناً الصحيح وأحياناً يكون قاسياً بلا ضرورة، ويكون مُجاملاً كثيراً بلا معنى، لأنه في منطق الواقع تحكمه هذه القوانين نفسها التي تحكم رئيس المجلس، ومأمور القسم، وضابط البوليس والعمدة، والغفير، إنه صاحب سلطة يا سيدي لكنها ليست سلطة نقدية، إنها السلطة التي تنقصه, في فرض وجهات نظره، والتي لم يعد يستطيع ممارستها عبر الكتابة النقدية لانفلات الأمور إلى الحد الذي يربكنا، الناقد الرسمي لم يتخلص من ثقافة نوعية هي ثقافة السلطة. ولذا لا يعول عليه كثيراً في توجيه الحياة الثقافية؛ لأنه رهن انحيازات خاصة بعمله الرسمي.

***هل اسم القاص والروائي يلعب دوراً في نجاح القصة والرواية؟!**

**إعلامياً نعم, موضوعياً لا, أتصور أنه ربما لا نقرأ هذا العمل كلية، رغم هذا الاسم الشهير أو ذاك، وما زال الإعلام في العالم العربي يحبو في هذا الشأن، ويقدم نصوصاً لا قيمة لها لأسماء كبيرة اعتماداً على هذا الاسم أو ذاك. ولا أهمية لأسم الكاتب برأيي في نجاح العمل؛ إنما يفرض النص نفسه ببساطة بغض النظر عن اسم الكاتب.

***لو طلبنا منك أن تختار بين الأدب والنقد لتكتب فيه فقط، أيهما تختار ولماذا؟**

**سؤالك مُحير؛ أحب الأدب، ولا أستطيع إيقاف الناقد اللعين، أختار الأدب علانية لأنه عشقي الأول، والنقد سراً بلا مخبرين، حتى لو تمنى الكُتاب شنقي. المسألة أن الإبداع الأدبي برأيي هو نفسه الإبداع النقدي؛ بمعنى أن النقد إبداع على إبداع يقدم نصاً نقدياً في مقابل نص أدبي؛ هذا هو الأمر، هنا رؤيا أدبية واسعة ومحتملة وهنا رؤيا نقدية محددة وواضحة.

***سؤال أخير.. ما هي أمنيتك التي تتمنى تحقيقها؟**

**الحرية لي ولأوطاننا الغائبة.

مساحة ذكريات

حنان درويش

المساء يقظة المهمومين، والرصيف لم يألف وقع خطواتي بعد.. فأنا مازلت أرسم بعداً إضافياً لنقلة قدمي فوق البلاطات الرمادية المرصوفة بانتظام.

وجه واضح القسمات يتأملني بهدوء. يخرج من مسامات الماضي. ثم يأتي إليّ حقلاً مزهراً، وحديقة وأغاني.. وجهك يا عاصم كان تميمتي. أحضن التميمة بين أهدابي. ثمّ أخفّف المسير. فتتحول البلاطات الرماديّة الصغيرة إلى كرات نارية متوهّجة. يخرج الناس من بيوتهم. يهلّلون لقدومنا معاً، يرقصون ويبتهجون. وتنسكب من السماء شلالات ضياء. تلفّ الشارع بالنور. وتغرقه بومض له عذوبة المشاعر الغامضة. أغلق عينيّ وأفتحهما. فأرى نفسي وحيدة إلا من صحبة الذكريات.

* * *

حين ودّعت صديقتي وفاء عند باب بيتها قبل قليل. كان اللونان الأبيض والأسود قد بدءا بالتداخل. رجتني أن أتريّث عندها أكثر؛ لكنني اعتذرت.. فالنهار شرع بالرحيل. حاملاً أمتعته إلى جهات مختلفة من العالم. جهات واعدة بالضجيج. كلّ المعالم حولي غابت حينها. إلا وجه صديقتي لم يغب قط. فهي الوحيدة التي خرجت بها من الدنيا. بعد أن غربلت بغربال الجميع. ولم يبق عالقاً على السطح سواها. فكانت الملاذ والمأوى عندما أحسّ بالضّيق يخنقني. أو عندما أشعر أنني مضطرة أن ألوك صراخي داخل فمي. أو بحاجة لابتلاع شفتيّ.

اليوم كانت جلستنا طويلة. سكبت على صدرها همومي ومشاكلي وأحزاني التي لا تنتهي. ومتاعب البيت والعمل والأولاد والزوج، الذي يعدّ محور المشاكل كلها. وقد أصبح في الآونة الأخيرة عنيداً، مشاكساً، فوضوياً، لا مبالياً.. واللامبالاة هي شعاره اليومي. وهي راحته الكاملة. يستيقظ في الصباح، يشرب قهوته، ثمّ يذهب إلى عمله. وحين يعود ظهراً، يتناول غداءه، ويقرأ جريدته وينام.. أما الليل فله حكاية أخرى لديه. فهو يمضيه بسهر يوميّ، ولا يعود إلى المنزل حتى يشارف الفجر على المجيء.. حالته باتت غريبة. كلّ ما فيه تبدّل وتغيّر. وكأنّه إنسان آخر. غير ذلك الذي عرفته من قبل.. «حياتنا مملّة يا صديقتي والملل القاتل صار أعزّ ضيوفنا".

* * *

كنت أوّل مرة التقيت عاصم، عندما وقفت أتدارى من هجمة المطر المفاجئة تحت شجرة الدلب العجوز. تلك التي تظلّل حيّزاً من الطريق المؤدي إلى مكان عملي.. كان الزمن بعيداً. والوقت شتاءً. والسماء تمطر بشراهة. وابل يعاند النوافذ والأرصفة، ووابل يعاند زجاج قلبي. التقت عيوننا، والتقى فؤادانا... كانت صدفة، تحدثنا فيها على عجل. وقد عبقت كلماتنا بأنفاس الواقفين برفقتنا... التفّوا جميعاً بلباسهم الشتوي القاتم. المصنوع من الجلد أو الجوخ أو الصوف. أحدهم يدخّن. والآخر ينظر بفضول إلى ما نقول، وانشغل الباقون بترقب انقطاع المطر الغزير. افترقنا وقتها، لكن على أمل اللقاء فيما بعد.

* * *

صديقتي وفاء كانت لي واحة أمان. تخفّف عني بكلماتها الرقيقة. ووجهها البشوش.. كلّ ما فيها يوحي بالطمأنينة والسكينة والوداعة والهدوء. فقد وهبها الله نفساً بشرية جميلة، تعيش فيها مرتاحة البال، قريرة العين، قانعة بكل شيء حولها من دون تمرد أو اعتراض.

«حساسيتك المفرطة هي التي تضخّم الأمور، وتجعل من المشاكل الصغيرة مشاكل أكبر، ويصبح الشكل الصغير لديك كتمثال أبي الهول تماماً.. ظروفك كظروفي وظروف الأخريات، كلّنا نعيش واقعاً واحداً تقريباً. وما تشكين منه أعايشه، أنا، قبل غيري. لكنّني أختلف عنك بأنني أتقبّل الأشياء بمسلماتها.. لا

أفلسفها. لا أعقّدها.. وهكذا تستقيم الحال».

كلام وفاء، الذي توجهه لي بين فترة وأخرى، أعرف ماذا تبغي منه.. تريدني أن أتنبّه إلى ثغرة موجودة في شخصيتي.. تريد أن تقول لي: إنّ العيب موجود فيك وليس في الظروف.

* * *

لم يكن الدرب إلى بيتي قصيراً، وقد تعمّدت أن أقطعه ماشية على قدمي. فهذا الدرب خبر خطواتنا، ومشاويرنا، وأحاديثنا.. لذا عشقت أشجاره وحجارته وناسه وشمسه وقمره. وبيوته المترامية على طرفيه الواسعين. كانت بصماتي مع بصمات عاصم فوقه تشكّل زمناً بحاله.. زمناً لم نستطع الحفاظ عليه، تسرّب من بين أصابعنا كما الرمل. ومن أمام عيوننا كما الشعاع. رحل، وبرحيله ماتت كلّ الأحلام.. اللون، والصوت، والأمنيات. لم يقل وداعاً. ذهب من دون وداع.

قرب إحدى الحدائق وقفت. غرقت في نشوة التوحد مع الموقف.

«على هذا المقعد كنت أجلس معك. نتكلم في كلّ شيء. نختلف ونتفق، نتفق ونختلف..كنّا نقرأ. نقرأ كثيراً. ونتحاور فيما نقرأ. كنت تدافع عن زوربا. تتقمّص شخصيته. ترقص أمامي رقصته الخالدة. تحمل كتابك في يدك. وتبدأ في العزف عليه. مقلّداً آلة "الساناتوري» التي عزف عليها زوربا ذات يوم.. تدور، وتدور، ثمّ تقفز في الهواء. من أجلك أعدت قراءة الرواية منذ أيّام، فوجدت فيها فلسفتك القديمة عن الحياة. كنت تقول:

«الحياة يجب أن تعاش. لا نضيعها، ولا نقتلها، وإنما نحتضنها بخوافقنا الدافئة دوماً.. هكذا يقول زوربا يا حبيبتي».

أضحك، ثمّ نضحك معاً. ثمّ أتأبّط ذراعك ونمضي، نرسم للمستقبل بيتاً وشمساً وأطفالاً رائعين.. لا نشعر برتابة الأيّام، ولا يتسرّب إلى أوقاتنا شيء اسمه السأم.

* * *

من المؤكّد أنّ زوجي لن يكون الآن في المنزل. فدوامه المسائيّ عند أحد الأصدقاء لابدّ وقد بدأ. الساعة قاربت الثامنة، ولعبة الورق تنتظرهم على أحرّ من الجمر، مجموعة من الذين عشقوا اللعبة، ووضعوا عندها أغلب طموحاتهم.. وقد قلت له أكثر من مرّة:

- آلا ترى معي أن كلّ ما تقومون به مضيعة للوقت. وليس منه أيّة فائدة؟!

- لسنا وحدنا من نفعل هذا. فهي لعبة العصر الدارجة. وإذا لم نتسلّ بها فماذا نفعل؟

بهذه الكلمات كان يجيبني. ثم يناور ويبدّل الحديث كي لا أستطيع الردّ عليه.

صديقتي وفاء أخبرتني بأن زوجها يمارس الهواية نفسها منذ زمن بعيد، ولا يعود إلى فراشه قبل الثالثة صباحاً. لكنها اعتادت هذا، وعدّته من صلب حياتها، فلا تعير غيابه أيّ اهتمام يذكر ولا أدري.. إن كنت أحسد صديقتي أم أرثي لحالها؟.. هل أعدها عاقلة، ناضجة تستوعب كلّ ما يدور حولها، أم أسلّم بأنّها غير آبهة أو غير مبالية لأيّ تغير يطرأ على مسيرة عمرها؟.

* * *

وصلت إلى أول الشارع الذي يتربّعه بيتي العزيز على قلبي. والذي أحبّه. وأحبّ من فيه أكثر من أيّ شيء في الدنيا.. غشاوة بسيطة تتراءى أمام مخيلتي، فأرى الأمور أكثر ضبابيّة.. تختلط صورة عاصم بصورة زوجي.. أتساءل:

«أيهما ستطغى على الأخرى؟ وإلى متى ستستمر هذه الحال؟. الصورتان متمازجتان. تبدوان أحياناً بصورة واحدة. وبشكل واحد. وأحياناً أشعر أنّه يفصل بينهما قرن من الزمن، أو ربما قرنان. أو ربما دهر طويل طويل ليس له نهاية.. بينما أحاول أن أستعيد أنموذجاً رائعاً لأحد الرجال، كما أستعيد تفاصيل حياتنا الماضية بكلّ ما فيها من دقائق غالية على قلبي ونفسي، كما أستعيد كلماتك الموشومة أمام عينيّ:

«من واجبنا أن نقبض على اللحظة. ونقول لها:

- أيّتها اللحظة الجميلة انتظري. فمازلنا هنا..»

* * *

حين أصبحت قريبة من منزلي حاولت أن أخنق العبرة في مقلتي، أنصب على شفتيّ تمثال الابتسامة المتجمدّ، وأن أعود لذاتي من عمر مضى.. ندهت:

- عاصم..

في البداية لم أسمع صوتي، لأن صوتي لم يقترب من أذنيّ. ندهت:

- عاصم..

ارتفع الصوت قليلاً ثم بدأ يتحوّل في أنحاء المكان. طرقت الباب سأل القادم:

- من؟..

لم أجب.. فقد تواردت إليّ كلّ المشاعر الحارّة عند سماع صوته.. جاءني الماضي حاضراً لا أريد له أن يغيب.. رجعت في لحظة أميرة الوقت وسيّدة الومضات. عادت أحاديثنا، مشاويرنا، مواعيدنا، كتبنا... كل شيء عاد. أستطيع في هذا الوقت الرؤية تماماً. لم تعد أحزاني متفرقة لقد تكرّست رحلة العمر الطويلة في حيّز ضيّق، ضيّق. عرفت الآن سبب قلقي الذي أعيش. لقد فتح لي عاصم الباب مغادراً المنزل إلى سهرته اليومية، فلا بدّ أنّ الأصحاب على طاولة اللعب بانتظاره.

* * *

الطّريق إلى نجمة الصّبح

محمود حامد

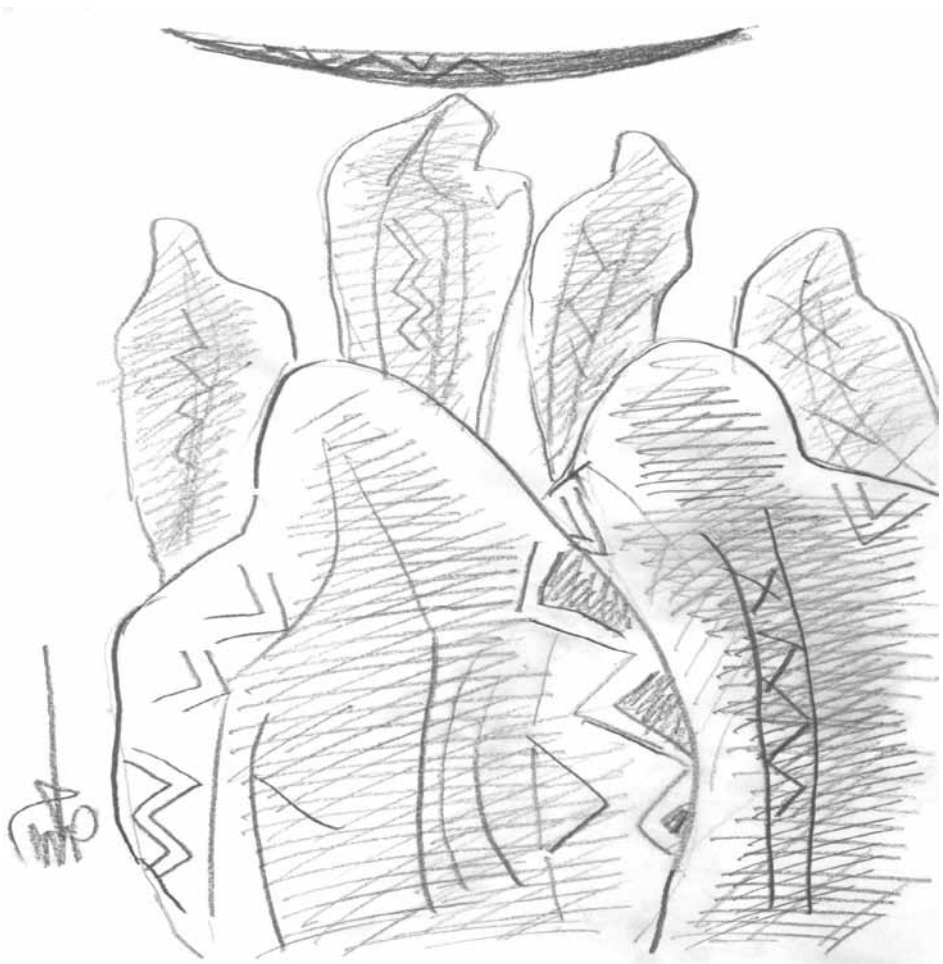

أسَمعتِ مئذنَةً على الأقصى تَضجُّ،
غداةَ يعلو فوقها التّكبيرُ!!؟
تبدو: كأنّ الصّوتَ يخلعُها،
فتنهضُ، أوْ تَكادُ تطيرُ
تمشي، كأنَّ الأرضَ واقفةٌ خُشوعاً،
والزّمانُ يَسيرُ!!!

*

مُدّي إلى الصُّبحِ الجَناحَ، هِيَ الذُّرا
تَسعى إلينا، والطريقُ قصيرُ
مُدّي الجَناحَ، فذاكَ كوكبُ جرحنا،
بعثتهُ ريحُ الشّاهداتِ ليعتلي:
أُفُقَ المعارج فوقنا، ويدورُ!!!

*

هُوَ ذا صَلاحُ الدّينِ يَخلعُ قَبْرَهُ،
صَلّى مَعَ الشُّهداءِ....
هَزَّ بقبضتيهِ ثرى البلادِ، وقاما
وتوضأت عيناهُ بالدَّمِ، والدَّمُ العربيُّ
ينهضُ:
في القبابِ حَماما
صَلّى بنا، وهو الذي ما زالُ يَنزفُ،
في الجُموعِ إماما
وَمَضى... لَعَلَّ القُدسَ وِجْهَتُهُ، وَعَلَّ
الشَّاما!!؟
هِيَ خطوةٌ، حَتَّى إذا:
صَرَخَ الدَّمُ العربيُّ من فوقِ المآذنِ:
واصلاحَ الدّينِ، ضَجَّ السَّاحُ راياتٍ،
وثارَ حِماما!!!

*

حَمَلَ المَساءُ سَلامَكِ الأغلى،
وقالَ: سَلاما
قُلتُ: الشَّآمُ، فليسَ غيرُك كُلَّما
هَلَّ المَساءُ... يَهِلُّ بَوْحاً موجعاً، وَخُزامى
وأنا قَتيلُ القُبَّراتِ:
فمقلةٌ تَهمي دَماً، والمُقلةُ الأُخرى تَذُرُّ يَماما!!!
هَلْ كانَ ما باحَ النَّدى للسَّفحِ ورداً،
أَمْ تُرى... ما باحَ... كانَ غَماما!!؟

*

لِيَ شَهْدُ عَينيها، فَأَيَّةُ دَمْعَةٍ
تُغري بَساتينَ الشِّفاهِ، ولا تكونُ مُداما!!؟
ذاك المُلوّع مِنْ جُنونِ حَنينها،
وَمَتى يكونُ حَنينُ شهدكِ يا شَآمُ حَراما!!؟
قَدْ كُنتِ بِدءَ الدَّهْرِ في مَلكوتِهِ الأعْلى،
وَكُنْتِ خِتاما!!!
وَطَنٌ يَمُدُّ على الذُّرا خَفقَ الجَناحِ،
وَيُستباحُ غَراما
نحنُ الّذينَ تَغوصُ في لَحْمِ التُّرابِ جُذورُنا،
وَتَغيبُ في عَلياءِها هاماتُنا،
نَحْنُ الّذينَ... وَلَنْ نَكونَ رُكاما!!!

*

آتي!!؟، تَقومُ لِيَ الدُّروبُ صَبابَةً،
والنّهرُ يَصخبُ بالغِناءِ صَبابَةً،
والأرضُ تنهضُ، إنَّهُ الوَطَنُ الّذي...
قَدْ جُنَّ مِنْ فَرَحٍ، فَمالَ عَليَّ... يبكي،
ضَمَّني فَرَحاً، وَمالَ عَلَيَّ يَبكي،
ضَمّني حَدَّ الجُنونِ، وناما!!!
والحُلْمُ يأخذُني بَعيداً،
إنَّهُ بَوْحُ المناديلِ المُعَطَّرِ بالبُكاءِ،
وَرَعْشَةُ الصَّدْرِ المُتَيَّمِ، والسِّياجُ،
وما تبثُّ الدُّورُ!!!
والنَّهْرُ يَصخبُ بالغِناءِ، وَشالُها،
وَأكفُّ أحبابي تُلوِّحُ، والمواعيدُ الّتي...
ما زالَ يَذكرُها... هُناكَ السُّورُ
لَمْ يَنْسَها هذا الّذي في الصَّدرِ يخفقُ،
والذي في المُقلتينِ يُثيرُ

*

آتِي!!؟ تميلُ على الخُطا شَفَةُ البلادِ،
وَتَنهضُ الطّرقاتُ كيما تَحْضُنَ الأقداما
أتُرى نُلامُ على الهَوى لَوْ ثارَ جَمْراً!!؟،
كَيْفَ!!؟ والوطنُ الّذي في الرُّوحِ ينبضُ،
أَنْ يَصيرَ خِياما!!؟

*

تلكَ الشَّوارعُ كَمْ شَكَتْ مِنْ غُربةِ الخُطُواتِ عَنْها،
كَمْ شكت تلكَ الرُّبا، تلكَ السُّفوحُ،
وَكَمْ شكتنا في الهَوى تلكَ المَواعيدُ الكثيرةُ،
كَمْ شكى مِنّا على جَمرِ الأسى عُصفورُ!!؟
كَيْفَ افْتَرَقْنا!!؟ وَزَّعَتْنا ضِفَّتَانِ،
وَدَرْبُنا مَهْجورُ!!؟
كَيْفَ انكَسَرْنا فوقَ ذاكِرَةِ السِّياجِ دَماً، وَنَخْلاً،
نحنُ مَنْ مَرُّوا خِفاقاً للصَّباحِ،
ونحنُ مَنْ خَطَفوا جُنونَ الآهِ مِنْ شَفَةِ الرِّياحِ،
وَنَحْنُ في نَبْضِ المَصابيحِ: السَّنا والثُّورُ!!؟

*

هُوَ ذا شَذاها مَرَّ... أيقظني على وَجَعِ العِتابِ،
وَحاما
قَمَراً على شُبَّاكِ غُرْبتنا...، يَمُرُّ مُسَلِّماً،
بالشَّالِ لَوَّحَ موجعاً،
ألقى إلَيَّ بنظرةٍ:
كادَتْ تكونُ على الأنينِ كَلاما

*

أَمْشي... فَتَسْبِقُني خُطايَ إليكِ،
يَسْبِقُني إليكِ الظِّلُّ، والحُلُمُ المُؤَرَّقُ،
والغَدُ المنظورُ
وَأُحِسُّ أَنَّ العَيْنَ تسبقني بنظرتها إليكِ،
أقولُ: تلكَ جَوارحي...،
أرأيتِ ما قَدْ أبدعَ التّفكيرُ!!؟
لِيَ في صَباباتِ الّذينَ أُحِبُّهُمْ،
ما في جُنونِ العِشْقِ حينَ يُغيرُ
ولأجلِ عَيْنيكِ المؤرّقتين يا قمري،
يُجيدُ الحكمةَ التَّبريرُ!!!
وَلِيَ الدُّروبُ، لِيَ الجهاتُ،
وَكُلّ جُرْحٍ للثّرى منذورُ
وَلِيَ الملايينُ الّتي:
يَشتاقُها ساحُ المنايا،
والدَّمُ المهدورُ
وَلِيَ البيارقُ، والقبابُ الخُضْرُ لي،
وَلِيَ النّخيلُ، لِيَ الصَّهيلُ، لِيَ القُرى والدُّورُ
وَلِيَ الجناحُ على الجناحِ تَوَحُّدٌ، وَمَصيرُ
فَسَلي جُنونَ البَرْقِ فينا... آنَ يَغْضَبُ،
كَيْفَ يَغضبُ رائعاً، وَيَثورُ!!؟

*

سِتُّونَ عاماً...،
لَمْ تَغِبْ تلويحَةُ الشَّالِ الحَزينِ، وَلا نَأَى
وَطَنُ الأَحِبَّةِ لحظةً يا مَريمُ
هَلْ نلتقي!!؟ ألقاكِ!!؟ وَعْدٌ،
واللّقاءُ مُحَتَّمُ!!!
بُحَّ النّداءُ على السِّياجِ، وَصَوْتُكِ المكسورُ
بيني وَبَيْنَكِ: نَبضةٌ لا تنتهي،
وَدَمٌ ووعدٌ بيننا،
وَصَبابةٌ تَسْري بصَدْري كالنَّسيمِ، وَبَيْنَنا
عند اللّقاءِ المُشتهى شيءٌ:
أَحَدُّ مِنَ اللّقاءِ... مُثيرُ!!!

*

بيني وَبَيْنَكِ:
ما تَخَطَّتْهُ المَسافَةُ،
آنَ تجمعُنا خُطانا،
والدّماءُ جُسورُ!!!

***

أمطارٌ ساخنة

أحمد جميل الحسن

زعيق دراجته القديمة يمزق النفس ويقض مضجع السكون، تجري الدراجة النارية مسرعة عند منحدر شديد يليه مباشرة منعطف نحو اليمين، يجوب سامي بدراجته الشوارع تاركاً عند كل منعطف زعيقاً مضجراً يخرش الآذان، تتضرع «أنّا» إلى الله أن لا يُمَس بأذى حتّى...، ينساب تضرعها مع ضجة الدراجة المبتعدة، ثم يخيم الصمت ويسترسل الحي في نومه من جديد.

عندما رأته أول مرّة يقف أمام غرفته هاماً بالذهاب إلى عمله، جذبها طوله الفارع ومنكباه العريضان، وملامح وجهه الرجولية الجادة الصارمة، وتلك السمرة التي أضفت على شبابه الوسامة. ابتسم لها محيياً، ثم اعتلى دراجته وذهب، بينما كانت الغيوم الداكنة السوداء تلتحم بطقوس إلهية.

ذهب سامي إلى تلك البلاد من أجل العمل وتحسين وضعه المعيشي، لذلك استدان النقود ودفع لسماسرة السفر، حتّى استقر به الوضع هناك بطريقة غير شرعية، كغيره من العمال العرب الذين سبقوه.

نهشتها الرغبة وحب المغامرة، ترصدت ذهابه وإيابه، تعقبته بسيارتها، وأخيراً التقته بعد انتظار مضنٍ وشوق عاصف ورغبة عارمة كادت تودي بها، دخلت المقهى الذي دخله في يوم العطلة الأسبوعي، طلبت فنجاناً من القهوة، وجلست قبالته، نظر إليها مستغرباً ثم أطرق.

تذكر ما قاله له من سبقوه: إياك والعبث مع النساء، فسيتم تسفيرك لا محالة. تحاشى نظراتها الوحشية التي كانت تجول في تفاصيله. أخذ يرشف من كوب الشاي الذي أمامه مرتبكاً، لم تعد تستطيع الصبر، هبت واقفة، واقتربت منه، جلست جانبه: (ياسو) حيّته، طلبت زجاجة بيرة وكأسين، تلذذت بارتباكه، تبسمت بخبث وبدت علائم السرور على محيّاها.

تقبع الغرفة التي يسكنها سامي، أعلى المنحدر، في حي متطرف؛ حيث تتوزع البيوت الفارهة الحديثة على جنباته، غرفة قديمة جداً ضمن قطعة أرض صغيرة مهملة هجرها أصحابها منذ زمن، وفي الجهة المقابلة يقع بيتها، يفصل بينهما شارع ضيّق.

إلى أين ستذهب هذه الليلة؟ سألته. هزّ رأسه وهمهم وسط دهشته: لن أذهب إلى أي مكان سأعود إلى غرفتي.

أمسكت به من يده واقتادته إلى الخارج، حيث سيارتها، انقاد لها كحمل وديع. أجلسته جانبها وأطلقت العنان لسيارتها التي كانت تنهب الأرض نهباً.

كان الملهى الليلي مكتظاً، والموسيقى الصاخبة تصدح من أرجائه كافة، وثمة رجال سكارى ونساء شبه عاريات يؤدين رقصات هستيرية مجنونة، والكؤوس تتمايل بأيدٍ مرتعشة وأفواه تغب بشراهة ما تبقى من خمر النشوة. وقُبلٌ وأيدٍ تجوس الأجساد. تسمر في مكانه لم يعتد الدخول إلى مثل أماكن كهذه، شدّته بقوة وانتحت به ركناً شبه مظلم، قبلته بشغف، شعر برعشة خوف ولذة تجري في أوصاله، همست: «وسكي، سنشرب الوسكي» لم ينبس ببنت شفة، فما زال مأخوذاً بهول الموقف وتسارع الأحداث. سكبت له في الكأس المملوءة بالثلج. أفرغت الكأس الأولى في جوفها دفعة واحدة، وكأنها تطفئ ظمأً عانت منه في نهار شديد الحرارة. رشف من كأسه بتمهل، حدّقت به بغضب ممزوج بالرغبة وبصيغة آمرة: اشرب بينما كانت تفرغ الكأس الثالثة في جوفها. فجأة خلعت معطفها ووضعته على مسند الكرسي. دارت برأسه الخمرة وشعر بنشوة، رآها ترقص بجنون، مرتدية بلوزتها النهدية، وعبر نظراته السكرى التقط معالم قامتها الهيفاء الدقيقة شبه العارية، من خلال تنورتها الشفافة وقميصها النايلون. سحبته إلى حلبة الرقص ألقت برأسها على كتفه، احتضنته، مرغت رأسها على صدره، التصقت به بكامل جسدها وهي ترتعش، تحركت بشكل آلي خاضعة تماماً إلى يدي سامي، وإلى بريق عينيه الواثقتين، كانت ملتصقة بصدره تماماً وكأنها تعد دقات قلبه المتسارعة.

- هل تحب قبرص؟ - سألته. هزّ رأسه إيجاباً. استطردت، وهي تمرغ ذقنها وشفتيها على صدره: وستحب نساءها أيضاً.

أحس أنفاسها اللاهثة، وكيف ترتعش ركبتاها على ركبتيه، وكيف يتهافت جسمها نحو جسده، شعر وكأنه يتوه في جنونها وانسياب جسدها المتضرّع الذي يشي برجاء خافت. وقبل أن تذهب الخمرة بعقلها كليّة، وتفقدها توازنها، نهضت ممسكة سامي من يده كرجل أمن يخاف أن يهرب منه مطلوب، نقدت النادل ثمن المشروب وخرجا.

بيد مضطربة، فتحت الباب من دون ضجة. بينما كان الليل يقترب من منتصفه والمطر يتساقط بغزارة.

صالة بيتها كبيرة مظلمة. وضوء خفيف ينساب من غرفة جانبية. ذهبت به مخيلته إلى أمور متشابكة وغير واضحة، تدور في رأسه الظنون، تتسرب من دهاليز مخّه كلمات من سبقوه عن النساء مشوشة، وسرعان ما تلاشت في خضم ارتباك روحه.

جفل سامي عندما رأى زوجها، وطارت النشوة من رأسه، وَهَمَّ بالمغادرة فشدّته من يده وأوقفته.

بدأت دقات قلبه بالتسارع، وأخذ يدور بنظره بين أنّا وزوجها، وكأن سؤالاً ملحاً على شفتيه: ماذا بعد؟ أدركت ما يجول في خاطره وقررت ألا تجيبه.

كان الزوج يجلس على كنبة وأمامه طاولة عليها كأس وزجاجة خمر وقليل من المكسرات، ويشاهد التلفاز واللهب يتصاعد من مدفأة الحائط القرميدية، انتفض عندما رأى سامي يقف متوتراً بلا حراك:

- أليس هذا العربي الذي يسكن في تلك الغرفة النتنة؟!

- نعم إنه هو، لقد دعوته لقضاء السهرة معنا. قالت أنّا ذلك وهي تفكر بمكر.

جلس الثلاثة في الغرفة. وقد سبقت أنّا زوجها بسكب الخمر في الكؤوس.

بصحتك رفع الزوج الكأس، تجرّعت كأسها دفعة واحدة، قامت وضغطت على زر (الاستيريو)، صدحت الموسيقى صاخبة، غمزت زوجها هزّ رأسه أيجاباً، بدأت ترقص. رجلاها البيضاويتان كانتا كعمودين من المرمر يتحركان. رفعت تنورتها إلى أعلى ركبتيها، غرق كل شيء في ظلمة اللاوجود لبرهة وجيزة من الزمن، وكانت أيضاً جلبة مبهمة ملحاحة كبقع قاتمة على أرضية زاهية.

ظهراً، حين كانت الغيوم تحجب الشمس، ويغسل المطر الشوارع، سمع صوت طرقات قويّة ومتسارعة على باب غرفته، هرع سامي على عجل، وما أن فتح الباب حتى كان رجل الشرطة يضع الأصفاد بيده. بينما كانت أنّا وزوجها يطلان برأسيهما من نافذة بيتهما ويبتسمان.

من رؤى أمّي

فراس فائق دياب

صورةُ أمّي نائمةً في دلو الماءْ
صاعدةً نحو سماءٍ تبهجها رائحةُ (الكوشوكْ)
أمّي يكفيها بئرُ البيتِ نظيفاً كالأحلامْ
أمّي يكفيها دفءُ لكلامْ
أمّي قادمةٌ كي تتوضّأُ
فلتتّسعِ السّاحاتُ لأمٍّ سلامْ
تنسلُّ نجومُ ملائكةِ الماءْ

كانت قبل قليلٍ في الدّلو الغافي
تُحصي البركاتْ
وكتمثالٍ مقهورٍ أرفعُ صورتها
أرفعها نحو سماءٍ عاليةٍ وأدورْ
بهدوءٍ أتلو سيرتها العليا لزهورْ
لم أبدأ بدعاءٍ حتّى الآنْ
عجباً من أين أتى ذاك النّورْ
تملؤني أوقاتُ الغربةِ بالأعشابِ
فأستغرقُ بشتاءِ الأزمنةِ المرّهْ
أربطُ عنقودَ الكلماتِ بقاطرتي
وأنادي حنظلتي كي أصعدَ تلّهْ
كلماتُ ربيعٍ أجمعها في الأقداحْ

سأوسّدُ روحي بالحطبِ المطريّ
أتعبّدُ غيمتها.. الآنَ أنا سكرانْ
أتحيّنُ لحظةَ يشرقُ فيها الصّباحْ
لحظةَ قرفصةِ الفجرِ على الأبوابْ
محشواً بالغضبِ الصّاعقْ
كغزالِ رياحٍ سأناغي الأبوابْ
... يا ألماس
يا أمَّ النّرجسِ والتّفاحِ الملكيّ
يا قامةَ ليلِ القمحِ بقريتنا الخرساءْ
يا تاجَ هطولٍ أبيضَ أبيضَ مثل حليبِ الماءْ
كم كان محاطاً بنجومِ فراشْ
يا شالَ الوردةِ في قدر نحاسْ

يا شالَ عطورٍ للنّاس
إنّ العرق التّوتيَّ الليلةَ فضّاحْ
والصّوتَ الأُمّيَّ يحلّقُ..
يتراكم كي يشدو لنحاسْ
أجراسُ نواقيس الرّمّانِ على شجر العمرِ ترنُّ الآنْ
***

القُبْلَةُ المُعَلَّقة

سوسن رجب

تتعطَّلُ اللغَة
تَجْفلُ مُهْرَةُ القلبِ
تَجْفلُ اللُّغَةُ الخاصة
بهمسنا
بلمسنا
وبصمتنا
تحتَ أزيزِ الرصاصِ
ترتجِفُ الشفاهُ
تَهيمُ إثرَ
قُبلتِها المُشتهاة
قبلتِها المخطوفَة
قُبلتِها المُعَلَّقة
برسمِ التأجيل..
ما بين الفعلِ
و.. القتل
تَجْفلُ القُبْلَةُ
حبيبي..
بينَ شفاهِنا..
تُعَلَّقُ القُبلَةُ
حبيبي....
عنِ الفِعْل
يُصادَرُ حقُها
في أن تصيرَ
ميثاقَ شرفٍ
وعروةً وثقى
بين شفتيَّ
وشفتيكَ
حبيبي....
تُلاحَقُ القُبلَة
بقانون الإرهابِ
بُجُرْمِ إثارةِ الفوضى
ضِدَّ الأعرافِ
ضِدَّ التحنيطِ
وضِدَّ التقاليد..
قُبلتُنا حبيبي...
محكومةٌ «بالأمل»
قِبلَتُنا.. قُبلَتُنا..
تَشمَخُ
تحتَ الشمسِ
تُعلنُ الإضرابَ
ضِدَّ الجلادِ
ضِدَّ الضبابِ
وضِدَّ شُذَّاذِ الآفاقِ
ونَهيمُ....
نحنُ إثْرَها
لا.. بَلَغناها
ولا.. أنقذناها
فرويناها
ونهرولُ إثرَها
حبيبي.....
وقُبلَتُنا.....
تَظَلُّ مُعَلَّقةً
بينَ شفاهي وشفاهكَ
محكومةً «بالأمل»
بأمرِ اللهِ
تحتَ النورِ
تحتَ زَخِّ الرصاص
وتحتَ القصفِ
تَظَلُّ مُعَلَّقةً
بيننا مع وقفِ التنفيذ
وبأمرِ العشقِ
تنتفضُ قُبلَتُنا
تَطيرُ قُبلَتُنا
مُجنَّحَةً بوردٍ
ضِدَّ الرصاصِ
ونهرولُ إثرَها
حبيبي...
لا نحنُ بلغناها
ولا نحنُ...
أنقذناها
فروياها
وتَظَلُّ قُبلَتُنا
ونظلُّ
نحن وشفاهُنَا
محكومينَ «بالأملِ»
بأمرِ الحُبِّ

السهرة عندنا

محمد قشمر

كان كلما صدفني يلح علي إلحاحاً شديداً لزيارتهم, والسهرة «عندنا» بمعنى ضمير المتكلم؛ أي عندهم, وكنت أتملص منه بمختلف الوسل وشتى الطرق, ومهما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وقد صدفته اليوم - زميلي في الدراسة سابقاً - فحاولت أن أتهرب منه كعادتي, خاشياً دعوته الثقيلة تلك, بغض طرفي وانشغالي بأمر ما, ثم انحرافي وإعطائه قفاي, و تحركي قليلاً نحو المجهول, لكن من دون جدوى, فقد كان أسرع مني, وأحسست بيده تنقر على ظهري بنعومة, وتغلق عينيّ فجأة, قبل أن ألتفت إلى الخلف, ويصمت كأنه ينتظر أن أقول من هو؟

لم أقل شيئاً, وبقيت متجاهلاً حتى سأل, عندها كان لا بد أن أقول من هو, فقد عرّفني بنفسه من نبرة صوته, وأي غبي سأكون إن لم اعرفه؟!!.

وبعد مصافحة «حارّة» ومعانقة خانقة, كهذه الأمسية الصيفية الكاتمة للنفس, استطاع بثقل دمه وجلافة طبعه, أن يحصرني في خانة «اليك», وأن ينتزع مني وعداً قاطعاً بالقدوم إليهم للسهرة «عندنا», أعود وأقول للتوضيح عندهم.

بعد أن استقبلنا بحفاوة وتكريم استقبال العظماء, وهو يفرك عينيه غير مصدق أن ما يراه علم وليس بحلم, أجلسنا - أنا وحرمي المصون - في الصالون الذي فرشه فرشاً عربياً ممتازاً من الطراز الحديث, ولكي لا تمر كلمة من دون إشباع معناها التاريخي والمرحلي, أبين أن هذا الفرش الحديث هو ذلك الذي تكون مسانده وأرائكه ومجالسه سميكة تقارب العشرين سنتمتراً, محشوة إسفنجاً مضغوطاً ضغطاً شديداً, حيث يخيل للضيف أنه يجلس على نوع من الصخر القماشي الفاره, بل يتكئ ويستند بكل ألم أيضاً عليه, لا سيما إن كان يعاني- مثلي - من آلالام في الظهر وبالتحديد في العمود الفقري؛ بينما يجلس صاحب المنزل على السجادة, ويستند على حافة المجلس بانبساط, وهنا لا بد من الإشارة- واعذروني إن خرجت عن الموضوع، وتكلمت بوجع - إلى أن هذه الجلسة تذكرني بالخازوق العثماني القديم؛ إلا انه هنا بالنكهة العربية المعاصرة.

على كلٍ, من فوره وضع الضيافة من كل ما لذ وطاب, الفواكه بأشكالها, والموالح بأنواعها, والمرطبات بألوانها, واخذ يبتسم باتجاهنا ويقول:

تفضلوا.. تسلوا..

وأقول حسب العرف الدارج:

متسلين بمرآكم.

والتقط,على استحياء, حبة من بذر دوار الشمس, أو حبة من العنب الأسود.

وعلى العموم, لم يكن مضيفي يتكلم أي كلمة, بل يتابع مسلسلاً ما بمنتهى الانسجام,

لكنه بعد مدة سأل باحترام جم:

ماذا تعملون هذه الأيام؟

في الفترة التي يفترض أنني سأجيب فيها, جاء الجواب من الممثل في التلفاز:

خريج حبوس سرقة, نشل, احتيال, هذه المهن كلها, وهي غير موفية.. الحياة صعبة.

بعد مدة ولكي أكسر حاجز الصمت، قلت:

وأنتم كيف حالكم وحال الأولاد؟

وجاء ممثل آخر ليجيب بفصاحة:

الدنيا آخر وقت, لا أحد يسأل عن أحد إذا لم يكن هناك مصلحة.

احمر وجهي خجلاً لهذه الحكمة التي أدلى بها, في الوقت الذي اختلست النظر باتجاه مضيفي، فوجدته منغمساً كأنه في عالم آخر.

كان صديقي قد ملأ صحناً كاملاً من القشور, وبدأ يطف على السجاد.. انتبه فجأة, فغضب غضباً انتفخت له أوداجه, وهو يقول لطفله الصغير:

العمى ضربك, ألم ترَ الصحن قد امتلأ بالقشور؟ اذهب فأفرغه بسرعة...

كان مضيفي العنيد يستدير بنصف صفحة وجهه عندما يقول لي جملته:

تفضل.. تسلّى..

وأجيبه حسب العرف:

متسلين بمرآكم.

راقبت الجو تماماً, وعندما مد الممثل يده بالمسدس, مددت يدي لأخذ إجاصة كان منظرها شهياً, كنت أقول في نفسي: «صديقك يدعوك بكل مودة, مد يدك.. عيب يا رجل». اختلست النظر باتجاه صاحبي كان مندمجاً, قلت: «ها هي الفرصة», ومددت يدي بروية وتناولتها, سحبتها بهدوء باتجاه فمي, فجأة, قال مضيفي بسخط من دون أن يحرف وجهه عن التلفاز:

- لعنة الله عليك.. هذا هو الغدر..

شعرت أنه أدماني, لقد كانت إهانة مرّة, وكأنني ضبطت متلبساً بجرم السرقة, خففت الوقع قليلاً بأنه ما قصد إلا صاحب المسدس الذي خان صديقه, ويريد قتله. قلت له مؤيداً في الظاهر مواسياً لنفسي في الباطن:

بالامتحان يكرم المرء أو يهان.

قبل أن تنجز عملية القتل تنفست الصعداء, فقد انتهى المسلسل, وبدأت البشارة بظهور الشارة - شارة النهاية - وقلت في نفسي مثل أم العريس: «لللليييشششش, إلى غير رجعة الآن تبدأ السهرة مع هذا الصديق القديم».

لكن ما تمت الجملة, حتى بدأ يقلب المحطات الواحدة تلو الأخرى, وكان يطرف بعينيه باسترخاء عندما سأل زوجته:

كم بقي لمسلسل غيداء ونادر؟

نظرت الأخرى باهتمام إلى ساعة الحائط, وأجابت بدقة متناهية:

ثمانية دقائق.

من دون أن يبدو أنه سمع شيئاً, ثبت الصورة على قناة ضغط رقمها في جهاز التحكم, قلت في نفسي: «وماذا الآن؟» ابتسم ابتسامة عريضة وقال منشرحاً:

انظر.

أظهرت انشدادي واهتمامي وسددت بعينيّ مثل بندقية صيد بفوهتين.

كانت مجموعة من الكلاب أحسبها - وصاحبي حسيبها - أنها مسعورة تركض خلف طريدة آلية متحركة فيما يبدو أنه مضمار للسباق.

قال بسرعة:

- اختر كلبك. وعلى عجل أتم:

- أنا «الدوبرمان» الأسود. ولما وجدني صامتاً قال:

- وأنت «البوكسر» الأحمر.

تنحنحت لألفت نظره إلى هذه الإهانة المباشرة, لكن من دون جدوى, فقد أتم الفريق عندما قال لزوجته:

وأنت المرقط «كتاهولا».

تعجبت لحفظه لسلالات الكلاب التي فيما يبدو أنه مدمن على سباقاتها, تلك التي أحسب أنه لا يعرف شيئاً عن سلالاته «البشرية» مقارنة بما يعرفه عن هذه السلالات «الكلبية» العريقة.

وقد ارتحت قليلاً, لأن زوجتي خرجت من هذه التصفيات, مرفوعة الرأس وافرة الكرامة, إذ لم يكن هناك من «يمثلها» وعدّت خروجها بمثابة خروجي.

إلا أن الحال لم تبق على ما هي, فعندما تداعى السباق إلى نهايته, ارتاع «لتقدمي» أقصد تقدم «كلبي» قليلاً على كلبه, حرّك رأسه ونظره إلى الشاشة قائلاً كأنه يخاطبني:

يا ابن الكلب أتريد أن تسبقني؟

تميزت غيظاً منه ومن هذه السهرة التي لا أزداد فيها إلا خساسة, كورت يدي على سبيل الممازحة، وهويت بها على كتفه, تحرك من متكئه، وصاح ملء فيه وهو يكاد يعوي من الفرح:

فزت أنا.. فزت أنا... أرأيت!؟

أوه... ضحكنا «لفوزه» جميعاً, بل صفقت «له» بإعجاب, وأنا أهز رأسي مهنئاً, وقلت لحرمي وأنا أغمزها بمعنى الاستعجال:

قومي بنا لنذهب فالأولاد الصغار لوحدهم.

وفهمت مغزاي فنهضت من فورها, ومع قيامها كنت قد وصلت إلى الباب، وارتديت حذائي ووقفت أنتظرها.

لم تفلح محاولات الصديق وزوجته بإقناعنا بتكملة السهرة التي وصفاها بأنها رائعة, ولم تبدأ بعد «عندنا» أي عندهم, ومضينا هاربين لا نلوي على شيء.

في الطريق أظهرت تذمري وغضبي ومقتي لهؤلاء الناس، وقلت:

أليست تلك الباحثة قد أصابت عين الحقيقة, واصفة نماذج كثيرة في هذا المجتمع, عندما قالت قولتها المشهورة:

«التلفاز هو صندوق البلهاء».

أرفع للشمسِ كلماتي

رانية جمال الدين

بين ضوئكَ والمطر

تكشَّفَ التباسُ البدء

وتعثَّرتْ دروبُكَ الموارِبةُ

بخطواتي الظمأى

أسندُ عمراً يتربصُ

بأنفاسِ الربيع

بينما تحتفي العتمةُ

بأفولِكَ من سماءِ أحلامي.

...

أخفضتُ أجنحةَ الكلامِ

مطارَدَةً بتفاصيلِ حضورِك

بأسطورةِ بعثِكَ وقيامتِك

أتوجَّسُ صمتاً مثيراً للضبابِ

غروراً مضاداً

لأحلامي اليائسةِ

ماضياً كفَّ عن زعمِك

حاضراً ضاق بمشيئتِكْ.

...

كلما شُفيتُ من ذهولي

أصابُ بدوارِ الكلمات

لا أذكرُ أنّا تبادلنا

عَبرةَ غيابٍ طويلٍ

واستعدتُك

أو تفجَّرت بين أيدينا

مواسمُ حنين

أو أنني تفيَّأت بظلالِ أنسِك

على ضفةِ الفرحِ التقيتُك

على شرفةِ الحزن

أتحدَّى ظلمةَ هذه المدينة،

قطيعةَ الحلمِ

حواجزَ الانتظارْ

أرفعُ للشمسِ كلماتي

يورقُ الأفقُ

وتنغلقُ في وجهي مطاراتُك.

زدني

نصر محسن

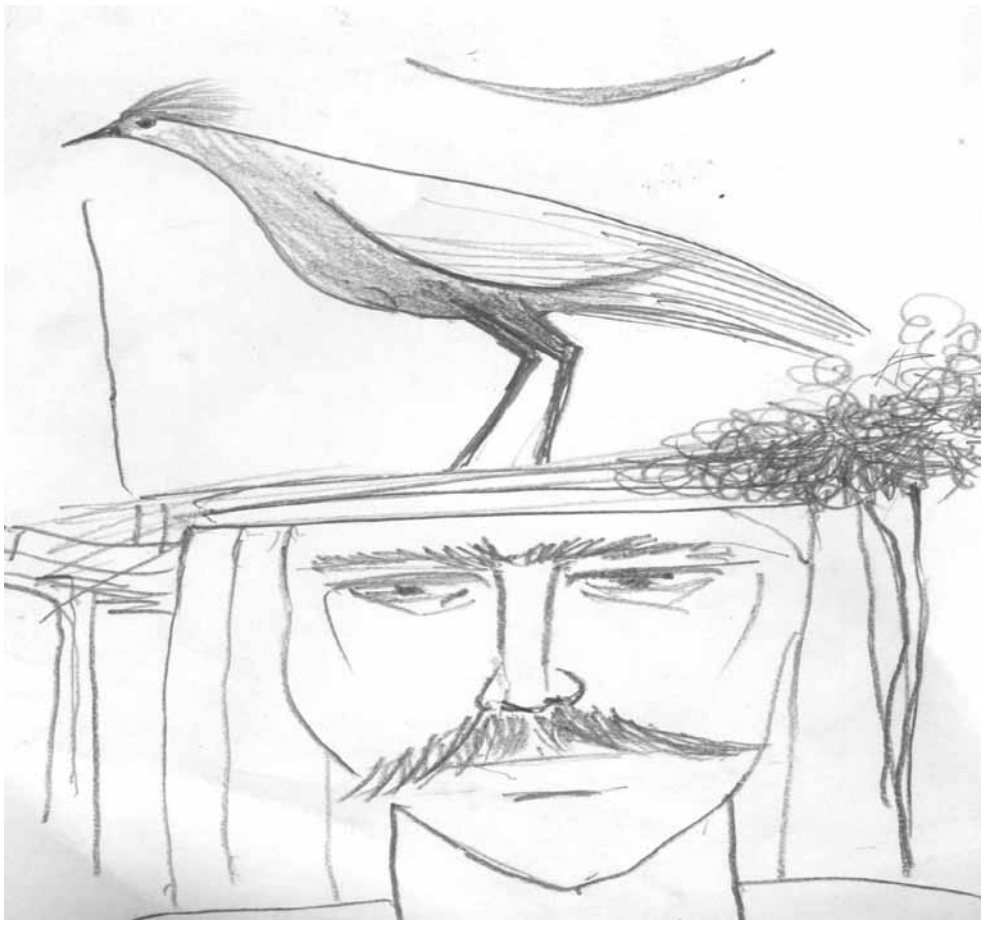

وقل ربّ زدني...

ربِّ زدني...

زدني.

يا أيّام الصّبا عودي.

كيف ستعود؟ من أين وإلى أين؟ ما زلت شاباً, لكن.. اللعنة على هذه العظام المُقوّسة, كيف ستستقيم؟ نصحوني كثيراً بالذّهاب إلى بلاد الغرب, هناك يستطيع الأطبّاء إعادة الشّباب إليَّ. ما زلت شاباً, أجل, ما زلت. هذه اللمعة في الرّأس, وهذا الإحساس بالفتوّة لا يغيب عنّي. صحيح أنّ أعوامي تجاوزت الأربعين, غير أنّي لا أقنع بأنّ الزّمن يفعل ما فعله بي, هناك أمرٌ آخر. عينٌ حاسدة, بلى, لا بُدّ أن تكون هناك عين حسود, سلّطت أشعّتها صوبي, فتقوّست.

أذكر تلك الأيّام وأشتاق إليها, أيّام الصّبا, كان الجسم كعود خيزران, وكان القلب مفعماً بالهمّة, لكنّ الجيوب كانت فارغة, وحين بدأت مسيرة الامتلاء بدأ الخيزران يهشّ. لن يعود الماضي, أُدرك ذلك تماماً, لكنّني أدرك أيضاً أنّ في هذا العالم من يستطيع حلّ مشكلتي, هي مشكلةٌ مستعصية, هكذا يصفها الأطبّاء, كرهت تلك الكلمة, وصرت أمقت الأطبّاء جميعاً, أنظر إلى وجوههم فأرى نظرات الإشفاق ممزوجة بحسد كريه, وبشماتةٍ مبطّنة. لا شكّ في أنّ أولئك الملاعين يغتابونني حين أُغادرهم, كأنّني أسمع أصواتهم (يستحقُّ أكثر من ذلك), (اللعنة عليه وعلى أمثاله), (أحسن ما فيه أمواله), (بل هي أسوأ ما فيه). وتلك الصّبيّة الجميلة الّتي غازلتُها حين أتت لتقيس حرارتي, ابتسمت بقرف, أنهت مهمّتها بصمت وعادت مسرعة, كأنّني أسمع صوتها وهي تعلّق على ما يقول زملاؤها: (كلُّ ما فيه سيئ, إنّه سبب مآسينا).

الشّيوخ ذوو العمائم, أصحاب الوجوه المكتنزة, يتناولون ما أقدّمه لهم, ينحنون أمامي كعبيد, ثمّ ينسحبون والدّعوات لا تفارق شفاههم, (الله يزيدك), حتّى هذه بتّ أكرهها, أراها دعاءً منافقاً, حتّى في معناها, هي جملة مراوغة, تحمل وجوهاً كثيرة بمعانٍ مختلفة. بتّ أشكّ بالنّاس جميعاً, حتّى أمّي أشكّ بأمومتها, هي لم تقبل منّي هديّة منذ اختلفت هداياي. أذكر أنّني كنت صغيراً, أسمع بعيد الأمّ, فأهرع حين يجيء العيد إلى البراري, أجمع لها باقة ورد, تأخذها بسعادة عارمة, تشمّها وتقبّلني, ترفع وجهها ويديها إلى السّماء:

-الله ينجّحك, ويحميك.

نجحت يا أمّي, ولكن الله لم يحمني. استجاب الله لنصف الدّعاء, وترك النّصف الآخر في مهبّ المرض. لماذا لا تقبلين هداياي كما كُنت تقبلينها؟ ألأنّني نجحت؟ أم لأنّ الله لم يحمني؟ تتحاشين رؤيتي, ألأنّني مريض, لا. أنا على يقين من ذلك, فليس هناك أمّ في الدّنيا تتهرّب من ابنها المريض. هل الغنى عيب يا أمّي؟ هل تريدين منّي أن أرفس النّعمة حين تجيء؟ كلّ النّاس يقولون عنها نعمة, إلاّ أنت.

مدير المؤسّسة وأتباعه يريدونني أن أذهب خارج البلاد للعلاج, هم يعرفون أنّ علاجي هناك ستطول مدّته, لا بُدّ حينذاك من تعيين أحد مكاني, وكم من الزّملاء الأعزّاء يرغبون بذلك؟! هذا المدير يتظاهر بمحبّة شديدة لي, لكنّه لا يختلف عن ذوي العمائم, يأخذ حصّته كلّ شهر, ثمّ ينحني راجياً أن أتوسّط له لدى معارفي, وأن نبقى على عهدنا, صديقين. ثمّ يتبع طقوسه تلك بالجملة ذاتها (الله يزيدك).

ربّ لا تستجب لهم, ولا تزدني. لست راغباً في المزيد, لديّ ما يكفي من المال والعلل, ولديك ما يفيض من الرّحمة, فهل لي بشيءٍ منها؟ إن كانت التّوبة تعيد إليّ شبابي فأنا مستعدٌّ لها, ولكن من يضمن لي النّتيجة؟ امنحني العافية يا ربّ, وسأتوب توبة صادقة.

-(وتعيد ما سرقته؟؟!!).

ما هذا الصّوت؟ من أين يأتي؟ النّاس نيام, وأنا وحيد في غرفتي. كأنّه أتى من النّافذة, أهرع إليها, لا أحد هناك. أمِن تلك الزّاوية؟ المكان خال.

-(ما بك يا من سوف تتوب؟ أجبني, هل تعيد ما سرقته؟؟!!).

هل أصرخ؟ أأجيب عن السّؤال بصراخ, أم همساً؟ لا أدري, ولا أدري إن كنت مستعدّاً لإعادة النّعمة, نعمة, نعمة يا ناس, فهل أرفسها؟ أأسأل أم أتساءل؟ أنا من أتّهم نفسي بالسّرقة, نعم, الصّوت السّائل خرج من هنا, من عظامي المُقوّسة, من نقيّ العظام. أسأل وأستبعد الإجابة.

هناك أسئلة لا نستطيع الإجابة عنها, الأمور دائماً كذلك, لا نعرف, لا نريد , لسنا مُتأكّدين. وبين الحسم والإطالة يضيع العمر من دون أن نحدّد ما نريد, وما نستطيع. أستاذ الفلسفة كان يقول ذلك. الأستاذ الذي تحوّل إلى شيخ بلحية وعمامة, وصار يأتي إليّ, يعرض أمامي ابتهالاته وأدعيته, أشتريها, أدفع ثمنها, فينحني أمامي قبل أن يخرج.

هل مضى عمره أيضاً من دون أن يحدّد الإجابة؟ وهل تساءل أم سأل مرّة لماذا يأتي, ولماذا ينحني؟ لماذا يعرض بضاعته أمامي؟ أنا المُتّهم منذ بدأت الجيوب بالامتلاء بأنّني سارق, مرتشٍ ومأواي النّار, خالداً مُخلَّداً.

دائماً تراودني فكرة الخلود, وكم رغبت في أن أحظى به, تعجبني المعتقدات الفرعونيّة, سأحاول بناء هرم, بل سأبنيه جاعلاً فيه ضريحي. أنا المحروم من كلّ شيء, والقادر على أشياء كثيرة, لا يقدر عليها غيري. قادر على أن أجعل من قريتي مركزاً حيويّاً عامراً بالحركة, تجارةً وصناعةً وعلوماً. ومن أهلها ما يتوقون إليه, قادر على أن أغيّب مدير المؤسّسة عن هذه الدّنيا, أو أن أجعله موظّفاً صغيراً في بلدة نائية. قادرٌ على جمع أجمل فتيات هذه البلاد كمحظيّات. لكنّني غير قادر على أن ألتقي بإحداهنّ. ما هذه المفارقة؟ فتيات ينتظرن منّي إشارة فلا أجرؤ على التّلويح بها. آه لو يعود الصّبا يوماً, لو أعود كما كنت شاباً يافعاً قادراً على إخصاب الهواء.

-(فقيراً أم غنيّاً ترغب بالعودة؟؟).

هو الصّوت مرّةً أُخرى يخرج من النّخاع, يسأل, ولا أستطيع الإجابة؛ فأنا لا أعرف. اللعنة على أستاذ الفلسفة, لا شكّ في أنّه هو من يحرّض الذّاكرة الآن, فأسأل الأسئلة ذاتها, وأجيب بعدم الإجابة. سأسأله حين يأتي إليَّ غداً ليبيعني أدعيته, هل من جوابٍ لديه؟ أم أنّه ما زال يفتقده؟

سأسأل مدير المؤسّسة, سأخيّره بين أن يبقى كما هو, أو أن يصير مثلي, لا شكّ في أنّه سيشمئزّ, سينظر إلى انحناء ظهري, يبتعد عنّي مرعوباً ويتمتم: (اللهم عافِنا) وربّما لا يجرؤ على النّطق بتلك العبارة, لكنّه يعنيها.أنا من جعله مديراً, وأنا من يحدّد له نوع الطّعام الّذي يأكله, واللباس الّذي يلبسه. أنا من يحدّد للكثيرين في هذه المؤسّسة طقوس حياتهم. أنا الّذي لا أستطيع أن أستقيم, أنا الحلقة الأقوى في سلسلةٍ ممتدّة من فوق إلى تحت, حلقة متى استقامت تنقطع السّلسلة, فهل يعرف أولئك اللائمون لماذا لا أستطيع الإجابة؟! وهل يعرفون لماذا أشعر بالامتعاض حين أشتري أدعية لا أطيق سماعها؟ أعرف أنّها لا تقدّم ولا تؤخّر, فما هي سوى لغوٍ وثرثرة, وهل يعرفون أنّني لست فرداً مثل أيٍّ منهم؟ أنا قطيعٌ كامل من الذّئاب, أرسل أنيابي ومخالبي في بقاع وفلوات ملأى بالطّرائد. أنصب الكمائن وأقبض على الخصوم, ما أسهل نصب الشّراك, وما أصعب الامتناع عن نصبها! ما أسهل أن يزداد أمثالي ثروةً وجاهاً!! وما أصعب أن أزداد هشاشةً وتقوّساً وحرماناً!!! ما أسهل التّوبة, وما أصعبها!! وبين السّهولة والصّعوبة تتأرجح البلاد وتتلوّى كطريدة بين الأنياب والمخالب.

وثائق القبعة الخضراء

عزيز نيسين
ترجمة : جمال دورمش

كان ينتظر عند موقف الباص مقابل بناء الوزارة. احتضن رجلاً نزل من الباص يلبس معطفاً بني اللون. ويضع نظارة.
واضح أنهما صديقان حميمان وأنهما لم يلتقيا منذ فترة طويلة..
أووووو!
أووو!
وعندما انتهيا من هذه المقدمة الصوتية. بدأا بالأسئلة». كيف حالك؟»،»كيف حالك أيضا وأيضاً؟»، ماهي أخبارك؟ وهذه الأسئلة تختلط بالأجوبة المتكررة»جيدة ونحن بصحة جيدة»»نحمد الله»،»ماشي الحال»،»لنقل بخير كي نكون بخير»... وعندما انتهت هذه الأجوبة رغب ذوالمعطف البني الذي يضع نظارة في دعوة صديقه القديم إلى البيت، أجابه الأخر:
لا مانع. نذهب، لكنني أنتظر صديقاً. ونذهب بعد مجيئه.
سأله ذوالمعطف البني:
أ هنا ستلتقيان؟
أجابه الأخر:
أتينا سوية. لديه بعض الأمور في الوزارة. لذلك ذهب إلى هناك. والآن سيعود.
رد عليه ذو المعطف البني:
لن يعود، دعنا لا ننتظر !..
سيأتي، أيعقل أنه لن يأتي؟!
لن يأتي !..
استشاط الأخر غضباً وقال:
وهل تعرفه؟
لا، لا أعرفه لكنه لن يأتي..
- لأنك لا تعرفه...
ليس لزماً أن تعرفه حتى تدرك أنه لن يأتي...
أيعقل أنه لن يأتي يا أخي؟! دخل من هذا الباب ولا يوجد سبب كي يتهرب مني..
يا روحي المسألة ليست أنه يتهرب منك. لكن هل دخل باب دائرة حكومية. أم لم يدخل؟..
سيأتي سيأتي. سيأتي الآن.وسيخرج أينما كان.
لن يخرج قبل أن ينتهي الدوام.
إنه ليس كما تظن..
روحي، لن يخرج، ليكن من يكون..
يعني، قد يلتقي بأحد معارفه بينما أنا انتظره هنا؟ بداية هولا يعرف أحداً في أنقرة. ثانياً هو ليس بثرثار.
ألم يدخل كي ينهي أموره؟
نعم، لكن معاملته منتهية وموقع عليها.. سيأخذها من الديوان ويخرج..
خير ما قلت.. لذلك لن يخرج حتى انتهاء الدوام !..
لك أقول لك إنها منجزة، سيمر بالديوان ويأخذ بعض الأوراق ويعود.
لن يخرج يا أخي، الموضوع خارج عن إرادته..
يعني تقصد أن الأمر سيطول. لكن المعاملة منجزة. عدا ذلك، لو كانت أموره ستطول لعاد وما جعلني أنتظره.
- والله وبالله لن يعود. هيا لنذهب.
معيب هذا الشيء.
منذ فترة كان يجب علي إنجاز معاملة في إحدى الدوائر. معاملة ليست مهمة.. وكان حموي موظفاً في تلك الدائرة. ذهبت اليه وطلبت منه زيارتنا عند المساء، بعد ذلك خرجت. وبينما كنت نازلاً على الدرج لفح الهواء رأسي. عندها تذكرت أنني خرجت بلا قبعة. فعندما دخلت إلى مكتب حمي علقت معطفي وقبعتي على المشجب الذي في الممر. لبست المعطف ونسيت القبعة..
. والله لا يمكنك حتى أن تقول إنني خرجت من الباب. لم أنزل سوى ثلاث درجات. وعدت راكضاً إلى المشجب. فلم أجد القبعة..
أيعقل ذلك؟.. أنا لا أستطيع الخروج بلا قبعة.. أصاب فوراً بالنزلة. والقبعة صناعة إيطالية..
والآن لا يوجد مثلها، حتى لودفعت ثلاثمائة ليرة لن تجد مثلها. لم أعتمرها أكثر من أسبوع. ركضت في الممر في هذا الاتجاه تارة وفي الاتجاه الأخر تارة أخرى، ورحت أصرخ»قبعتي، أرجوكم قبعتي»، الممر فيه الكثير ممن يحملون معاملاتهم..
وكلما ركضت وأنا أصرخ»قبعتي، قبعتي»كانوا يضحكون. الذين لم يفقدوا قبعاتهم لا يعرفون معاناة من فقد قبعته، سأصاب بالنزلة يا أخي. حتى في البيت لوكنت نائماً. أوواقفاً يجب أن أعتمر القبعة، بدأ أنفي يسيل بينما كنت أركض كي لا يلفحني الهواء..
والجميع يضحك. ولا أحد يقدر وضعي. طبعاً، منظر يدعوللضحك وأركض في دائرة رسمية وأنا أعطس وأصرخ»أرجوكم أين قبعتي». وأنا لا قدرة لي على الضحك.
دخلت مكتب حميّ وأنا أعطس بشدة وأصرخ:
أرجوك يا عمي. انظر إلى ما حل بي..
قال لي عمي وهويحاول تهدئتي :
انتظر، ولا تنفعل، سنجدها !..
غضب مدير عمي وقال:
- يا سيد، يا سيد. هنا دائرة رسمية، ولا يفقد فيها شيء..
يا أخي ألا أعرف الدوائر الرسمية؟، لا يفقد فيها شيء، لكن لن تجده عندما تبحث عنه، وعندما تجده لن تستطيع استلامه..
خرجنا مع عمي إلى الممر. نادى عمي المستخدم وسأله:
ماذا جرى للقبعة التي كانت هنا؟!
أجابه المستخدم:
هل كانت القبعة خضراء؟
صرخت:
نعم خضراء يا أخي..
هل لها وبر..
نعم يا أخي، لها وبر..
كانت قبعة كبيرة أليس كذلك؟
كانت كبيرة !..
شريطتها كانت سوداء؟
نعم شريطتها سوداء..
في هذه اللحظة خرج مدير عمي إلى الممر وقرّعني ثانية:
أرأيت يا أفندي، هنا دائرة رسمية، حتى الشعرة لا تضيع هنا. لا أحد يصغر نفسه من أجل قبعتك. حتى لوكانت خزينة.
- لك روحي وهل أنا قلت إن أحداً يصغر نفسه؟! من أين أتيت بهذا الكلام؟, أنا طلبت قبعتي..
تابع المستخدم وصف قبعتي حوافها كانت ملتوية؟..
ملتوية يا روحي..
منحنية نحو الأعلى؟
نعم هكذا..
كان فيها فتحتان للتهوية؟..
قلت له:
لقد وصفتها بشكل جيد، قل لي أين هي؟..
أجابني المستخدم:
ظننت أن لا صاحب لها لذلك سلمتها لوجداني بيك.
ركضنا إلى وجداني بيك:
أرجوك يا سيدي.
لا أستطيع التحدث من شدة العطس. الله يبعده عنكم؛ لقد أصبح مثل مدفع رمضان. ومع كل عطسة تهتز الدائرة. هكذا يبنون هذه الأبنية. لوهمست. تتضخم الأصوات عبر الأسقف والجدران لتصل إلى الغرف مثل الدوائر على سطح الماء.
يسأل وجداني بيك الفتاة التي ترقن على الآلة الكاتبة:
أين أوراق القبعة الخضراء التي وجدت؟
تجيبه:
لقد أرسلتها للتسجيل..
تدخلت فوراً:
مهلاً يا سيد، وهل لقبعتي أوراق؟. ما هذا؟
غضب وجداني بيك:
ستشغلنا إذا لم تستطع المحافظة على قبعاتك. وتسأل هل لقبعتك أوراق؟! ماذا سنفعل بقبعة وجدت في الممر. إذا لم ننظم لها أوراقاً؟
التفت إلى الفتاة وقلت لها:
أرجوك يا أبنتي. وعطست عطسة قوية. جعلت الأوراق التي كانت على طاولة الفتاة تتطاير.
قالت الفتاة وهي على وشك أن تبكي:
- منذ الصباح وأنا أرتب هذه الأوراق. وأنت بعثرتها في كل اتجاه. فما العمل الآن؟
الجميع راح يؤنبني لأني عطست:
الله الله. أرجوك يا بنتي. العطاس هوفعل لا إرادي. مثل فرمان السلطان؛ من يستطيع معارضته؟
لم لا تضع منديلاً على فمك؟..
لك روحي. هل أستطيع إخراج المنديل من جيبي؟، هل العطسة ستخبرك أنها آتية مثل ذلك المواطن الذي يطرق الباب؟. إنها مثل المفتش المبتدئ الذي لا تدرين متى سيأتيك.
وجدت الفتاة أوراق قبعتي بين الأوراق المتناثرة،
ورقة وردية اللون رقيقة ناعمة، وقد أرسلت النسخة الأصلية إلى السجل.
قرأت بطرف عيني بعض الشيء»خلاصة. بخصوص القبعة الخضراء ذات الشريطة السوداء والتي فيها ثقبان للتهوية ووجدت معلقة على المشجب في الممر»
كتبت الفتاة رقماً على ورقة صغيرة وأعطتني إياها.
اذهب وابحث عنها في السجل.
ركضت إلى موظف السجل:
أرجوك قبعتي.
كم رقمها.
59..
بحث كثيراً في الدفتر وقال:
- أبخصوص المبلغ الذي سيدفع من أجل القرض؟
أرجوك، أي قرض يا روحي، وأي مبلغ؟. بخصوص قبعتي ذات الفروالأخضر. وفيها فتحتان للتهوية.
استشاط الموظف غضباً:
- ومن أين لي أن أعرف عن ثقبي قبعتك؟، قل لي كم قياسها؟..
59 يا أخي..
يوجد رقم 59 بخصوص ما سيدفع من أجل القرض.
إيه يا ربي.. ألم تسألني عن مقاس القبعة؟.. آسف هكذا ظننت. هذه رقم المعاملة..
بحث في السجل وقال:
أهذه هي؟»القبعة ذات الفرو الأخضر وشريطة سوداء وفيها فتحتان للتهوية التي وجدت في الممر على المشجب..»
نعم.. هي ذاتها... إيه الله يرضى عليك؟، هل وجدتها؟.
رد عليه موظف السجل:
- أرسلت إلى مدير الدائرة كي يتم تنظيم ضبط بذلك.
ركضت إلى حماي:
- أقبل يديك ألا تعرف أحداً ذا نفوذ؟ كي يتوسط لي لأستعيد قبعتي.
أخذني إلى مدير السجل الخاص.
وهوبدوره ضغط على زر الجرس وطلب مدير الدائرة وقال له:
- لمَ لا تعطوه قبعته؟.
أجابه مدير الإدارة قائلاً:
- من لا يعطيه؟. ماذا سنفعل بقبعته. قبعة بمقاس 59. بالتأكيد هي كبيرة على جميع من هنا. وتغطي آذانهم..
رغم ذلك فقد أهان قبعتي... عطست عطسة... لولم أدر رأسي نحوالجدار لتبعثرت كل الأوراق في الغرفة.
من ثم قال مدير الإدارة: وصلتنا قبعة. ونظمنا ضبطاً وأرفقناه بها وأرسلناه إلى القسم الثاني.
قال لي مدير السجل الخاص:
- اذهب واستلم قبعتك..
- أرجوك يا معلم، من سيسلمني القبعة»لا أحد يسلمني إياها.
رد علي مدير الإدارة قائلاً:
الأمور خرجت من عندنا. نحن لا نستبقي المعاملات، أنجزناها وحولناها فوراً.
لوكانت القبعة محلية لانتهت الأمور. لكنها صناعة إيطالية، أهداني إياها صهري. لودفعت مائتي ليرة لن تجد مثلها..
ذهبت إلى القسم الثاني. ثمة ازدحام على الباب ولا يمكن الدخول. كل واحد يسأل الأخر عن مصيبته. وأنا مصيبتي هي قبعتي..
سألني الواقف أمامي:
- وهل لك فترة طويلة وأنت تتابع معاملتك؟
أجبته:
منذ الصباح.
بعد ذلك شرحت له ما جرى لي.
استشاط غضباً:
ولك منذ ستة أشهر ونحن نراجع بلا فائدة. حتى أنهم لم يبدؤوا بإجراءات معاملتنا بعد. بينما بدؤوا بمعاملتك فوراً.
قال آخر:
- كم أنت محظوظ !..
واحد أخر قال:

- أي حظ يا آخي؟ من يدري من يدعمه حتى أنهى أموره بهذه السرعة.
هذا يعني أن مجرد بدء معاملة قبعتي هي مسألة حظ.
بعد ذلك دخلت القسم الثاني، إلا أنني لم أجد القبعة. وهم بدورهم أرسلوها إلى مكان أخر. حتى لوغضبت إلا أنني لم أظهر ذلك وقلت:
- لم أرسلوها بهذه السرعة؟.
أجابني الموظف قائلاً:
- الله الله.. إن أبطأنا بالعمل لا يعجبهم. وإن أسرعنا كذلك..
- لوتركتم قبعتي لفترة قصيرة.
- وهل هناك مكان مخصص لتعليق القبعات يا سيدي؟
أصبحت مثل ذلك الذي أخذ يدور بين الأطفال الذين تلقفوا قبعته وراحوا يرمونها فيما بينهم، لم أستطع بأي شكل من الأشكال الحصول على قبعتي.
معاملة قبعتي تسير بسرعة، لدرجة أنني عندما أدخل مكتباً تكون قبعتي قد انتقلت إلى مكتب أخر.
وبعد أن ركضت وراء قبعتي عشرة أيام. وجدتها في المستودع، وفي هذه المرة رفض أمين المستودع قائلاً:
لا أستطيع تسليمك إياها. مسألة فيها مسؤولية، من أين لي أن أعرف أنها لك؟
رحت اشرح له:
- مقاس القبعة 59. فهي كبيرة على غيري ولونها أخضر..
وهل قبعتك هي الوحيدة الخضراء في هذا العالم؟
من الفرو..
كثيرة هي قبعات الفرو، هل معك صورة وأنت تعتمرها؟
وفيها ثقبان للتهوية.
كلامك مطابق للواقع، وماذا لوأتى أحدهم وقال هذه قبعتي.
وأخيراً استطعت إقناعه بأنها قبعتي.
تم تنظيم الضبط ثانية. ووقعت عليه.
إيه إذا سيسلمني القبعة. لكنه في هذه المرة قال لي:
- بطاقتك الشخصية يا سيدي؟
- بطاقتي الشخصية؟ ليست معي.
- إذا لن نسلمك إياها.
استطعت إثبات أن القبعة لي، لكنني لا أستطيع إثبات أن أنا هو أنا.
هرعت إلى البيت وأحضرت بطاقتي.
وساعدني حموي وسلمني قبعتي.
وبدل ثقبي التهوية أحدث في القبعة مائتا ثقب. وذلك من كثرة ما تم تثبيت المعاملة عليها. أخذت القبعة لكنني لم استطع اعتمارها.
ماذا تقول يا أخي. نسيت قبعتي وعدت بأقل من دقيقتين. لكنني بأي شكل من الأشكال لم أستطع الخروج من هناك.
وكيف سيخرج صديقك؟
- لكن معاملته جاهزة.
رد عليه ذوالنظارة والمعطف البني قائلاً:
حتى لوكانت المعاملة منتهية، فهو لن يخرج من هناك بأقل من عشرة ايام.
نظر الآخر إلى ساعته
اقترب موعد انتهاء العمل..
رد عليه ذوالمعطف البني قائلاً
نستطيع الانتظار. فهوعلى وشك الخروج. متى دخل؟
في الساعة الثانية
كان الموظفون يخرجون. خرج الرجل بعدما انتظرنا حتى خرج آخر موظف.
وقال:
معاملتي تأجلت إلى يوم غد.

سرطان

قصة مهداة إلى صديقة العمر ريما التي تغلبت بالإرادة على السرطان

سعاد مهنا مكارم

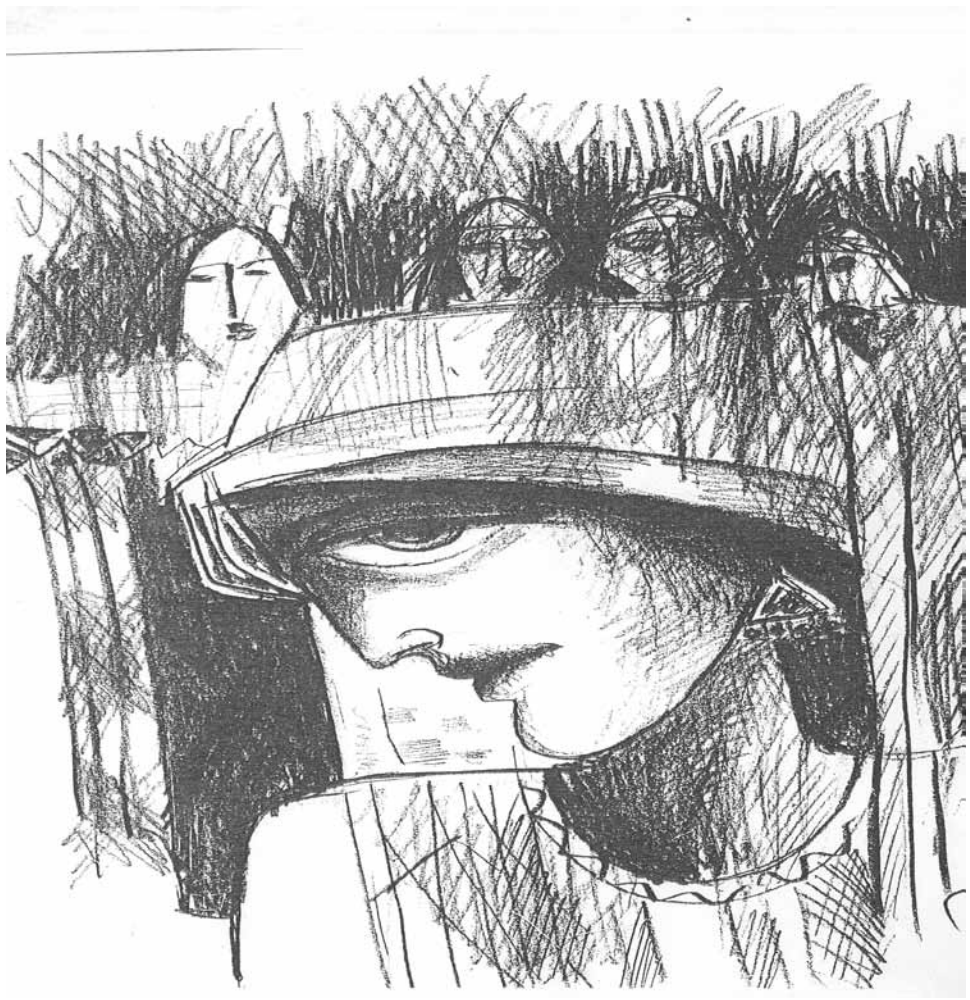

لا أعرف كيف غزا السـرطان جسد صديقتي. تموضـع أمام القلب، ومد أرجلـه إلى جميع أنحاء الجسـد الضئيل. تسـلل أحد أطرافه إلى الرحم، وبـدأ ينهش الخلايا حتـى تهالكت. أزيل الرحم وانقطع الضنى. سـجدت للخالق شكراً على أنها أنجبت زهـرات ثلاث قبـل أن يلج ذلـك اللئيم تكوينها.

أدرك السـرطان بكامل وعيه أنـه أمام معركة ليسـت حامية الوطيس بعد أن قضى على منبع الحماية باسـتئصال الرحم. لا إنجاب بعد اليوم. لن يجد جسـد صديقتي مـن يدافع عنه. انقطع توالدها؛ البنات سيتزوجن ويغادرن؛ وهي وحيدة في غربة روح وجسد.

بعد أن تيقن مـن انتصاره على منبع الأطفال، تسـلل إلى المخ، فتته، محاه، رمـاه؛ فلم يبق إلا شظايا متآكلة. فرح ذلك الخبيث يعجز صديقتي عـن التفكير. لـم تعد تفرق بين بيـاض الحياة وسـوادها. بين غياب الشـمس وانبـلاج الفجر، اختلطـت الأمور في ذهنها كمن أصيب بزهايمر في عز الشباب.

مد ذلـك الملعون طرفاً له، فتسـلل إلى أذني صديقتي،وتغلغل حتى أقصى أعماقهما،فتهاوتا بعد أن ذابتا، اختلطت الأصوات وتمازجت، خرخرة الجداول كهدير الأمواج، زقزقة العصافير كنعيب الغراب ونقيق الضفادع، صهيل الخيل كنهيق الحمير، وقعقعة الدبابة.. على وقع سمعها تساوت الأصوات، لا تفريق بينها بعد اليوم. في تسـلله إلى الأنف قرر الخبيث السيطرة على جميع خلاياه وشـعيراته، حتى تمكن منها وأحكم سـيطرته، وصعق الأنف بضربة قاضية أفقدته حاسة الشم. رائحة الورد كرائحة البارود، وعفن المسـتنقعات كأريج الياسـمين كرائحة زريبة تغص بالحيوان. بعد أن اسـتراح من مهمته في القضاء على أنف صديقتـي، لم يجد حرجاً مـن الانطلاق إلى فمها والتغلغل في خلايا لسـانها؛ خاصة وأن المسافة ليسـت بعيدة؛ فهو ليس بحاجة لاستجماع قواه؛ لم يبـذل جهداً في الانتقال؛ أطبق سـريعاً على حليمات اللسـان ليفقده لذة الإحسـاس بأنواع الطعوم. كلها سـواء: الحلو، المر، الحامض، المالح، الساخن، البارد. لا فرق.

منذ أن أشب مخالب خبثه في لسانها، لم تعد تتلذذ بالطعوم. وغدا الأكل وسيلة للبقاء؛ ولتثبت للجميـع أنها لا تزال على قيد الحياة. تفرح عندما يقـدم لها أحدهـم صنفاً لتأكله وتحـزن عندما تفقد اللذة في التذوق. تأكله آملة في أن تشـعر به يوماً ما حتى الأمل لم يعد يسجل في ديوانها ذاكرتها..

شعر الخبيث بتفوقه على الجسد الهزيل بعد أن بدأ الإرهاق يقلقه. كانت تحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تتغلب على خبثه، تمسـك الأشـياء، تقلبها بين يديها، تسير إلى كل مكان تستطيع الوصول إليه، تحاول التغلب على ما خربه السرطان في جسـدها؛ إلا أنه وبعد أن شل تفكيرها أسرع إلى الأطراف، أعطـب عظامها وعضلاتها، لم تعد تسـتطيع الوقوف، وشُلت حركتها تماماً. ما بقي لها إلا عينان تنظران وتتحسـران على ما آل إليه حال صاحبتهما فبكتا. لؤلؤ عينيها يشفق عليها، يحنو على امرأة تريد أن تربي بناتها وترعى تفتح براعمهن، لا من يحنو عليهن إذا حصل لها شـيء أو فارقت الحياة.

ما أحقره من خبيث، جمد الدمع في عينيها. بدأ يمزق عصب الرؤية، وبدأت تفقد بصرها يوماً بعد يـوم.. كل ألم يحتمل إلا النظـر. أطبق تماماً على العينين الذابلتين الحالمتين وقتل الحلم..

مـا بقي من أمل إلا قلب مفعم بحب الحياة. كل ما حوله منهار منهار. الجسـد يتهـاوى، الحياة فيه تطفئ سراجها. الخبيث يكاد يعلن انتصاره ويلقي بها في غياهب قبر يضم رفاة امرأة ما تزال راغبة في الحياة. شبابها الأربعيني يقاوم؛ يواجه هذا اللئيم الأليم.

أعجزت الأطباء والعقاقير. الطب استنفد كل ما لديه وما من سبيل. حسرة ولوعة في القلب. الجسد يتهاوى. الأمل يكاد يذوي. بناتها حولها يذرفن دموع الـوداع. الوحيد زوجها سـندها، تصطف حروف الأمل على لسـانه، وتعقد دبكة في عرس أيامها. ينطبق لؤلؤ نسـغ الحياة. يسري الدم في عروقها، ينبض مـع دقات الفرح في أحضان قلب مفعم بأحلام الجمال، كلمات زوجها تتسـلل إلى القلب الحالم:

ستربين بناتك، سـتزوجينهن. ستنهلين مع أحفادك رشـفات قهوة الصباح مع صوت فيروز: «وقف يا أسـمر في إلـك عنـدي كلام»... وأقبل نحوك على عكازي.. ألمس شـعرك الأبيض؛ وأرى في تجاعيد وجهك أياماً عشقت فيها معك ضوء القمر..

الأمل يتسـرب إلـى القلب... دقاتـه تتضوع عنبر ربيـع العمر المفعم بأحـلام قادمات الأيام. يسـتجمع عذوبة الحياة، يشـتد عـوده، يُحكم قبضتـه على خبيث لا تعرف من أين تسـلل إلى أعماق أيامها. القلب ينبض, الجسد يقاوم؛ القلب ينبـض والعينان تسـتعيدان بريقهمـا، القلب ينبـض والعقل يصحو من سـبات. القلب ينبض والأطـراف تعزف سـيمفونية الحيـاة وترقص على إيقاعها. القلب ينبض والحواس تشـم أريج العمر. تتذوق حلاوة الوجود. القلب ينبض والرحم يبدأ باحتضان جنيـن يتهيأ معلناً ولوج الحياة... لسانها يسبح بحمد البارئ. أهملت كل ما يسمونه علاجاً؛ سواء أكان العلاج دوائياً أم كيماوياً، أفعمت فؤادهـا بحب الخالق. تتضرع له مع شـروق غزالة السماء إلى غروبها. مع لجين القمر ونجمات الليل. تتوسد مخدتها مناجية ربها بشفافية روح تحمل الأمل لاحتضـان الحياة. صلاة وصلاة وصلاة. قلب عاشـق لمبدع الكون. روح تحلق في مداه. جسـدٌ يستقوي بصوفية ربانية مؤازرة.. العبادة سبيلها. صعقته، ظـلام أحلامها تبدد، آلام روحها امتطت موجة الرحيل، بُترت أطراف ذلك الخبيث، شُـلت حركته وانتصر القلب. بدر أيامها يفيض عذوبة. سـماء لياليها يناغي ياسـمين عمرها، يتضوع متغلغلاً مع دقات القلب النابض بالحياة. ترشف قهـوة صباحاتها مع رفيـق دربها؛ وصوت فيروز يدندن «وقف يا أسمر إلك عندي كلام».

الطائر البحري الجريح

للكاتب: ديمتير شوتريجي
ترجمة: عبد اللطيف الأرناؤوط

كنت في الثانية عشرة من عمري عندما ذهبت وأسرتي إلى مدينة «بوغرا دتس» لنصطاف على ضفة بحيرتها في شهر آب، لكن الطقس، لسوء الحظ، بدا رديئاً في هذه الأشهر، بدأ بالعواصف وانتهى بالأمطار، مما أيأس المصطافين وأزعجهم، وكنت أنتهز مع ذلك ألطف الأيام جواً، فأحمل شبكتي وسنارتين وأجلس فوق صخرة للصيد البحري، وابتسم لي الحظ يوماً فاصطدت ثلاث سمات كبيرة وخمسة أفراخ أصغر منها، إضافة إلى كمية وافرة من السمك الصغير، ومع الغروب اضطررت إلى العودة.

وبعد أن قطعت حوالي مئة متر في طريق العودة رأيت طائراً بحرياً كبيراً، فوق الحصى عند ضفة البحيرة، يحاول أن يطير عبثاً، لكنه يعجز عن ذلك، ويعرج في مشيته، كان جناحه الأيسر سليماً والأيمن يتدلى كالساعد المهيض، ولذلك لا يستطيع أن يحلّق أو يفرد جناحيه البيضاوين، وكانت إحدى ساقيه معطوبة، فلا يستطيع أن يقف إلاَّ على ساق واحدة مثل طائر «مالك الحزين»..

تألمت لحاله، واستبدت بي فكرة القبض عليه، فتركت عدة صيدي، وما اصطدت على صخرة وتوجهت نحوه منحنياً حذراً لكي لا أنفرّه، متجاهلاً أن طائر البحر لم يكن أعمى أو أصم، لاحظني بالطبع وأبدى قلقه، وحاول أن ينشر جناحيه ويطير عبثاً، ودرج خطوتين أو ثلاث، ولاحظت عن كثب رأسه الصغير ومنقاره المعكوف وعينيه البراقتين، فدنوت بحذر عسى أن أخادعه وأمسك به، لكن توتره قد ازداد ومنحه مزيداً من التصميم ومحاولة الهرب العقيمة.

كانت تفصلني عنه مسافة سبعة أمتار أو ثمانية، فحاول مجدداً الخلاص ونشر جناحه السليم الأبيض المقلّم بدائرة سوداء مرات، وضمه مرّات، وتبين لي أن جناحه المصاب مجروح وملطخ بالدماء، وقد حاول أن يبسطه عبثاً ثلاث مرات، وتمكن من الطيران مترين أو ثلاثة بلا جدوى، فقد سقط في الماء، ليس من علٍ ليغوص فيه كما يفعل طائر البحر السليم، وإنما سقط مثل جثة ميتة، ما ضاعف من قلقي عليه في سعيه للنجاة مني، فدخلت ماء البحيرة، وغصت فيه حتى الركبتين وقبضت عليه، حاول أن ينقرني مغضباً، لكنني قيدت حركة رأسه، فلما أدرك عجزه استسلم وأسند رأسه إلى صدره الأبيض المقلّم بالسواد، وراح ينظر إلى السماء والبحيرة بفتور يثير الشفقة، لم أعرف سبب إصابته، هل كان يصارع ذكراً آخر لنيل قلب أنثى كبقية الكائنات، أو هل أصيب من طير جارح، أو من صياد أراد أن يفاخر بمهارته في إصابة الهدف، مهما يكن من أمر فقد كان جناحه مكسوراً، فقد ريشه وساقه مهيضة..

عاملت طائر البحر بالحسنى، وداعبته وأزلت مخاوفه وحملته إلى البيت، فرح الكل به، أخي وأخواتي الثلاث اللواتي يصغرنني، حتى أمي وأبي، فكرت أمي أن تعدّه وجبة غداء لنا، مع أن السمك الصغير كان متوافراً يسهل اصطياده من البحيرة، لكن والدي حسم الأمر، وكان يعرف طبيباً بيطرياً فقال:

- خلق هذا الطير لشق العواصف، ولن يتحول إلى طائر أهلي مدجن، أو عندليب يغرّد في قفصه، الأجدر بنا أن نشفي جناحه ونطلقه.

قلت له: لنحاول...

ذهب والدي إلى الطبيب البيطري في مدينة «بوفرادتس»، فزارنا وعالج جناح الطائر وساقه، لكنه لم يبد تفاؤلاً بشفائه، ومع ذلك فإن طائر البحر بجناحه المدعوم بقطعة ورق مقوى، وساقه المكسورة المضمدة، تعوّد على نمط حياتنا العائلية، واستسلم لقدره البائس، ولعله قدر اهتمامنا به، لكن جناحه وساقه لم يبرأا على الرغم من العناية والمودة المتبادلة بينه وبين أفراد الأسرة، ربطته بدرابزون الدرج التحتاني بخيط طويل، لأوفر له حرية الحركة، وكنت أروضه على شطّ البحيرة، فقويت ساقه المعطوبة بالتدريج، أما جناحه الأيمن فظل شبه ميت وزال عنه الريش.

كان طائر البحر المشوّه ينظر إلى سواه من الطيور البحرية المحلّقة والغاطسة في البحيرة كالصاعقة، وهي ترسل زعيقها المرعب، وأحياناً كان بعضها يحطّ قربه بعد تحليق فوقه ويهبط على الرمل ويدانيه، أو تضع مناقيرها على منقاره وتتبادل الصيحات، ثم يحلق الطائر السليم فوقه مرات باعثاً صيحته الأخيرة..

كما لو كانت تواسيه وتظهر عجزها عن إنقاذه.

وجاء آخر أسبوع من شهر أيلول رائقاً أكثر، أيامه صحو وصفاء، فقررنا الرحيل والعودة إلى مدينتنا، وقد شغلني أمر الطائر الجريح، لكن أحد رفاقي من سكان «بوغرادتس» وعدني برعايته والعناية به، وأقسم إنني سأجده كما تركته على حاله بل أفضل، بل ربما تتحقق معجزة شفائه بعد غيابي، فيعود إلى سربه معافىً وقد يزور الأسرة التي اعتنت به.

ويبدو أن حمامة البحر تحوّلت إلى طائر مدجنّ، فلا حاجة إلى ربطه بالخيط، حررته تماماً منه، وسمحت له أن يخرج من البيت ويعود إليه بكل حرية، ولم يعد الأطفال يعاكسونه، بل كان يحاول كل منهم أن يمدّه بسمكة صغيرة، لكنه في موسم العواصف خلال شهر أيلول امتنع عن أكل لحوم السمك الصغير الذي كنت أشتريه له، فرثينا جميعاً لحاله، وحاولت إرغامه على تناوله بالقوة، لكنه كان يغلق منقاره، ولا يبلع شيئاً، قدّر والدي أن الطائر يريد سمكاً طازجاً تمّ صيده للحال، لكن ذلك متعذر المنال بسبب العواصف..

قال أبي وقد حزن لحاله:

- إنه طائر العواصف يا بني، ونحن في موسمها، فهي تناديه، لكنه عاجزٌ عن الاستجابة لها بفطرته شأن أقرانه.

قلت لأبي:

- ربما أصيب بمرض، ومن الملائم عرضه على الطبيب..

فنظر إليَّ والدي آسفاً لأنني لا أدرك أن الطير الذي شوهت جسده الإصابة، يتعرض الآن لتشويه نفسي مماثل بسبب العواصف التي تستدعيه ليمارس حياته الطبيعية.

ظلَّ طائر البحر يسعى حراً فيخرج من المنزل كما يشاء، ويعود إليه، لكنه كان عاجزاً عن الطيران أو المشي السليم، إلى أن كانت ليلة فتحت بها الرياح العاصفة الباب الخارجي للمنزل، لأن أحداً لم يغلقه جيداً، وفي الصباح لم يكن الطائر المصاب في البيت فقد انتهز فرصة عصف الرياح التي فتحت بابه وخرج. بحثنا عنه طويلاً حتى عثرنا عليه على قمة صخرة قريبة، وقد فارق الحياة ورأسه متجه نحو السماء، وعيناه ساكنتان.

ما بين طرفة عين أو أدنى

يوسف الأبطح

قطبت السماء في وجه الكون، بدت أكثر وجوماً من يوم عبوس قمطرير، ريشة الريح ترسم على صفحتها بغمام أسود صوراً لأشكال مرعبة، تحركها هبوب جافلة تبعث فيها حياة، عقارب الدار دبت إلى اللسب في صبح افتزَّ عن نواجذه، شمر الشر فيه عن ساقيه، ينذر بحمى وطيس واقعة أين منها البسوس وداحس والغبراء، تدور فوق رؤوسنا تحت رايات من ظلمة ليل طويل، أعاد للحجر القداسة وللجهالة الصدارة والنواسة، ولم يعد يعرف الأخ أخاه، ولا الابن أباه، ولا كيف رباه.

عقارب الميقات تشابكت، تحاصرني، تكبلني استعداداً لجلدي بسياط الخديعة ومقاريع العقيدة، لأنهض من أرقي وكأن الكون ارتبط بقدمي، ما بت عليه يشل يد الدهر، ويقسم ظهر الكون، يعيده إلى بداية الخليقة والتكوين.

عمار الدمار عبارة راسية في قاع ذاكرتي لسبعة عقود خلت، قالها جدي قبل نكبة ثمانية وأربعين، وكان يقصد بها طفرة عمار وأعمار اجتاحت بلدتنا والبلدات المجاورة في حينها بشكل جنوني، بيوت جديدة شيدت بحجارة غريبة حجارة بيضاء مقصبة منقشة مستوردة من مدن وأماكن بعيدة، كل واحد من أهل البلد يفاخر بالمكان الذي جلب منه حجارة بيته الجديد والطريقة التي جلبها بها، أبي كان آخرهم، بنى غرفة لم ينم فيها، تركها نظيفة للغازي المحتل وسكن الخيمة...

صدقت ياجدي...

قبور للموتى تشاد فوق بعضها في المخيم والتضامن وغيرهما على أسطحة بيوت آيلة للسقوط لا أساسات لها ولا خرسانات وتعرض للبيع، بعضها انهار ودمر مع أحياء بكاملها في تلك الحرب العبثية المجنونة...

هديد انهدم البيوت ودوي الانفجارات لم ينقطع، يتناوح من جهات عدة موشح يومي لموت قادم، لا أعرف من أين وزن إيقاعه، ولا من أي مقام هو، تداخل الحجاز بالعجم والكرد بالنهوند، وانفرد الرصد بالدم.

أصوات من نشاز تعلو هنا وهناك، تبحث عن آذان تسمعها بلا طائل...

ستٌّ وثلاثون قذيفة سمعت أصواتها تباعاً، انطلاقها وسقوطها وصوت الانهدام الناجم عنها، رائحة المواد المتفجرة سكنت الأنوف، شياط وسهك معادن غريبة، بت الليل لا أعرف إذا كان سيطلع علينا الصبح، ونراه مثل بقية الأيام، هل سأفيق مثل كل يوم على هديل اليمامات الجائعات، وأصوات سقسقة عصافير الدوري المشاكسة على مظلة جاري المعدنية تحت النافذة، تفتعل الشجارات فيما بينها لأسمع أصواتها، وأنهض أطعمها واليمامات فتات نش الخبز أجهزة لهم من الليل.

ما بين طرفة عين أو أدنى من فتحتي للنافذة، سمعت صفيراً غريباً لم تألفه أذناي آتياً من الجهة الغربية للبيت، شاهدتها فضية اللون تهوي مترنحة تلتمع، كانت على مسافة أمتار قليلة عن سقف مدخل البناء المقابل للنافذة، قبل ارتطامها به، وسقوط حقيبة المعلمة سلمى من يدها وتبعثر كتبها من يدها على الأرض واحتباس أنفاسها مع دهشتها وذهولها لرؤيتها للقذيفة تقترب منها.

دوى الانفجار، اهتزت الأرض والسماء ومعهما البيت بكل مافيه بلحظة واحدة، لمحت عيناي دوائر الانفجار بكاملها قبل التواء رقبة المعلمة وارتطام قسم من جثتها بالجدار المقابل، وانهيار شرفات البناء وزجاج النوافذ من كل ناحية.

لمحتها بلمح البصر، دائرة سوداء بقطر المتر أحاطت بها هالة بنفسجية متماوجة، تبعتها دائرة رمادية داكنة، ومن بعدها دائرة صفراء، تلتها هالة كبيرة برتقالية بلون الشفق، ثم كانت الحمراء التي هي بلون الدم، وتحمل أدوات الموت في الشظايا المنطلقة منها في كل الاتجاهات.

أخذت السماء نصيبها من الشظايا، وشجرة الزيتون في حديقة الجيران صدت القسم الأكبر منها مضحية ببعض أغصانها باسقة النخيل ببعض سعفها ومعها الياسمينة.

صحوت على صراخ الأسرة وعويلها من حولي، طلبت منهم الهدوء؛ قالت الأم هلعة:

- انظر إلى وجهك بالمرآة.

هالني ما رأيت عليه، طبقة من رماد بركاني بلون الموت ينبجس من تحتها دمي من الجبين وأسفل الذقن، لامست يدي الجروح أطمئن على غوارها، كانت لا شيء أمام أشلاء سلمى التي توزعت ودماءها على المكان كله.

التطبيع الثقافي إلى أين؟! /تتمة/

في الشرق؛ والضفة الغربية في الغرب، ما يعني شطب الأردن وفلسطين من ذاكرة التلاميذ بطريقة غير شعورية؛ وأسلوب خبيث وماكر... وإذا كانت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية قد عنيت بالكراسين السابقين من أصل عشرة كراريس فإن الثمانية الباقية حملت ختم مؤسسة (إسرائيل) (USAID)؛ ما يثبت أن المشروع برمته إنما هو مشروع صهيوني روجت له أيد عربية مسؤولة في وزارات التربية والتعليم...

وهناك أشكال أخرى للتطبيع الثقافي مع العدو؛ ولعل في طليعة هذه الأشكال تلك الزيارة التطبيعية للسيدة المصرية المثقفة (فريدة النقاش) التي شاركت في وفد ثقافي عربي بحجة شرف المشاركة بمعرض الكتاب لعام (2012م) التي يقام تحت سلطة الحكم الذاتي للسلطة الفلسطينية التي لا تملك مقراتها الرسمية..

وكذلك فعل السيد (عمرو موسى) الذي زار مدينة نابلس المحتلة قبل انتخابات الرئاسة المصرية، والتقى بعض الصهاينة بتسهيل من السيد (منيب المصري) الذي استضاف اللقاءات التطبيعية في قصره.. ثم قام عمرو موسى بزيارة مفاجئة لـ (رام الله) في (2012/11/4م) والتقى سراً وزيرة خارجية الكيان الصهيوني ـ سابقاً ـ (تسيبي ليفني)؛ ودارت بينهما مناقشات شتى.. وهو الذي أعطى الإشارة الأولى بالموافقة العربية على غزو ليبيا يوم كان أميناً عاماً للجامعة العربية.

وهنا يتساءل كل حرّ شريف من أبناء العروبة: كيف يمكن لأمثال هؤلاء المثقفين أن يقوموا بعمليات تطبيع ثقافية واقتصادية مع الكيان الصهيوني؟؟ ثم كيف يفكر عمرو موسى بهذا التفكير وهو المشهود له بالحنكة والدراية ومعرفة جرائم العدو الصهيوني؛ فضلاً عن أنه كان قد ترشح لرئاسة مصر؟!! كان الأجدر بالأمين العام السابق لجامعة الدول العربية ألا يسقط هذه السقطة المروعة؛ فهل ما جرى منه كان في إطار صفقة مع الإدارة الأمريكية ومعرفة ملموسة من قبل حكومات عربية كقطر والسعودية؟!!

نحن نوجه هذه الأسئلة إلى غير واحد من القوميين واليساريين الذين يعرفون السيدة فريدة النقاش حق المعرفة، علماً أن كثيراً منهم دعموا عمرو موسى في انتخابات الرئاسة المصرية الأخيرة!!!.. ثم إذا كان هَمُّ كثير من القوميين والإسلاميين واليساريين يتجسد بالحرص على مقاومة الظلم والقهر والفقر والجهل في زمن ما يسمى (الربيع العربي) أليس في قاموسهم شيء اسمه مناهضة التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني؟. كل ذلك سيبقى رهناً بموقف المثقفين العرب من التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني من جهة وموقفهم من قبوله في المنطقة بوصف الصراع العربي/ الصهيوني صراع وجود من جهة أخرى.

السَّرِقاتُ الشِّعْرِيَّةُ: هل توافق الأفكار والآراء بين الشّعراء سرقة؟ /تتمة/

الجُرْجانيّ أنَّ التأكيدَ كُلَّمَا زاد كان أبلغ.

- النَّقل: وهو نقل المعنى من غرضٍ إلى آخَر، كأن يستخدمَ شاعرٌ المعنى في الغزل فيأتي إليه آخَرُ ويستخدمَهُ في المديح أو الرِّثاء، فإذا اختلف الغرضُ الذي استُخْدِمَتْ لأجله الصورةُ كانت سرقة ممدوحة، يقول الجُرْجانيّ: (الشَّاعرُ الحاذقُ إذا عَلِقَ المعنى المختَلَسَ عدَل به عن نوعِهِ وصِنفِهِ، وعن وزنِهِ ونظمه، وعن رويِّهِ وقافيته، فإذا مَرَّا بالغبيِّ الغُفْل وجدهما أجنبيَّيْنِ متباعدَيْن، وإذا تأمَّلهما الفَطِنُ الذَّكيُّ عَرَفَ قرابةَ ما بينهما، والوصْلَةَ التي تجمعهما).

وهو هنا يشير إلى قضيَّةٍ مهمَّة، وهي أنَّ هذا الباب يحتاج إلى ذكاءٍ لا يُتاح لكلِّ ناقد، ويقصد نفسه.

ومن أمثلة النَّقل التي اكتشفها الجُرْجانيُّ بنفسه قولُ كُثَيِّرٍ في النسيب:

أريدُ لأنْسى ذِكْرَها فكأنَّما
تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بكُلِّ سبيلِ

وقول أبي نواس:

مَلِكٌ تَصوَّرَ في القُلُوبِ مِثالُهُ
فَكأنَّهُ لَمْ يَخْلُ منهُ مَكانُ

فالمادح (أبو نواس) يرى الممدوحَ في كلِّ طريقٍ ومكان، كما يرى كُثَيِّرٌ المُحِبُّ حبيبَتَهُ ليلى في كُلِّ طريق، فقام أبو نواس بنقل المعنى من النسيب إلى المديح، والصُّورة نفسها، وهذه السَّرِقة ممدوحة، لأنَّ فيها نقلاً من مجالٍ إلى آخَر، من النسيب إلى المديح.

- القلب: وهو نَقْضُ المعنى وقَلْبُه، ذلك لأنَّ سَرِقَةَ الألفاظ مكشوفةٌ علنيَّة، أمّا سرقات المعاني فلا تتكشَّفُ إلاَّ للنَّاقد البصير، يقول الجُرْجانيّ: (ومن لَطيفِ السَّرِقِ ما جاء به على وجه القلب، وقصدَ به النَّقْض، كقول المتنبِّي:

أُحِبُّهُ وأحِبُّ فيه مَلامَةً
إنَّ الملامةَ فيهِ مِنْ أعدائِهِ

إنَّما نَقَضَ قولَ أبي الشِّيص:

أجِدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً
حُبّاً لذِكْرِكِ، فلْيَلُمْنِي اللَّوَّمُ

فالملامة عند أبي الشِّيص لذيذة، أمَّا عند المتنبِّي فهي عَدُوّ، فنَقَضَ المتنبِّيُ المعنى تَماماً وقَلَبه، وهذا من لَطيف السَّرِقات التي يَمدح الجُرْجانيُّ فاعِلها... ويُسوِّغُ الجُرْجانيُّ لنفسه فيقول: (وهذا بابٌ يحتاجُ إلى إنْعامِ الفِكر، وشِدَّةِ البحث، وحُسْنِ النَّظر، والتَّحرُّزِ من الإقْدامِ قبلَ التَّبَيُّن، والحُكْمِ إلاَّ بعد الثِّقة.. وقد يَغْمُضُ حتى يَخْفى، وقد يذهبُ منه الواضحُ الجليُّ على مَنْ لم يكن مُرْتاضاً بالصِّناعة، متدرِّباً بالنَّقد، وقد تَحْمِلُ العصبيَّةُ فيه العالِمَ على دفع العِيان، وجَحْدِ المشاهدة، فلا يزيدُ على التعرُّضِ للفضيحة، والاشتهارِ بالجَوْرِ والتَّحامُل).

وفي قوله هذا فكرةٌ مهمَّة، وهي أنَّ النُّقَّادِ قد يحملهم تعصُّبهم لشاعرٍ ما أو قبيلةٍ ما على ألّا يعترفوا بسَرِقَةِ هذا الشّاعر، أو يدَّعُوا أنَّ غيره قد سرق منه، والجُرْجانيُّ يَعُدُّ هذا من الجَوْرِ الذي ليس له هدفٌ سوى التشهيرِ بالشَّاعرِ وإعلاء ذِكْرِه.

المراجع:
- النقد القديم – للدكتور: جهاد رضا – جامعة حلب – 2009
-تاريخ الأدب العربي – حنا الفاخوري.
-الفن ومذاهبه – شوقي ضيف.

قراءة في مسرحية الطوفان لجوان جان /تتمة/

على أن الزمن الذي كانت تمر بها قرية تل الذهب كان يُحْسَبُ بأجزاء الثواني، وبالتالي لا يحتمل الموقف أية إطالة؛ لأنّ المونولوج حوار وجدانيٌّ شاقوليٌّ جوّانيٌّ مع الذات في أعمق أعاميقها.

2- ترى هل كان سكان القرى الثلاثين التي جرفها الطوفان أحسن حالاً من قرية تل الذهب؟ لا أعتقد ذلك. ولو أنهم كانوا أحسن حالاً لتفادوا الطوفان كما تفادى طوفان النهر الأصفر المهندسُ الصيني طايو ومن معه.

3- الطوفان الذي أهلك تل الذهب وما سبقها من قرىً هل سيكتفي بإهلاك قرية تل الورد التي هو في طريقه إليها فقط كما أخبرنا المذياع؟ أم سيهلك القرى التي تليها والتي تلي ما يليها إذا كان سكانها لا يختلفون عن سكان تل الذهب من مبدأ قياس الغائب على الشاهد.

4- إن سكان تل الذهب الذين جمعتهم قرية واحدة وفرّقهم كل شيء، لم يتّعظوا بما حصل للقرى التي أُهلِكَتْ من قبلهم، والعاقل من اتعظ بغيره. هذا الخليط الفسيفسائي غير المتجانس الذي كان يرى أنّ كل شيء من حوله مآله للخراب، ما أحسّ بالنار إلاّ حينما حرقت يده أي بعد فوات الأوان، فما من شعب يفنى إلاّ إذا حمل في طياته بذور فنائه؛ أليس الشعبُ ثمرةَ عقله؟ ولنفرض جدلاً أنّ سكان تل الذهب اتفقوا على بناء السد حين دعاهم المختار؛ فهل سيتمكّنون من تحقيق ما صَبوا إليه، والطوفان يغذُّ الخطا نحو مشارف الأبواب والأعتاب؟ هل يستطيع مهندس - ومن غير أن يرسم (كُروكي) - الإيعاز بالشروع في بناء السد؟ ولو استطاع ذلك وكان (طايو) جديداً؟ كيف يؤمّن اليد العاملة؟ ومتى؟ ومن أين يحضر مواد البناء من خشب وحديد وإسمنت وحجارة و... و... وكلّ ما يلزم لبناء السد ليكون السد جاهزاً للتصدي للطوفان؟ إذ بينما يؤمن كلَّ ما هو مطلوب ممّا ذكرت وممّا لم أذكر، يكون الذي ضرب قد ضرب، والذي هرب قد هرب، وصارت تل الذهب في طيّ النسيان مع من ذهب قاعاً صفصفاً كأن قرية لم تكن موجودة بالأمس أمام عين.

5- أليس جرف القرى الثلاثين بما فيها ومن فيها مع قرية تل الذهب كارثة ستبقى محفورة في ذاكرة الزمن؟ أم أن جَرْفَ الطوفان لها كان مجرّد رقم ليس إلاّ؟ السؤال المهم؛ بل الأهمّ الذي يجب أن لا يغيب عن الأذهان: أين دولة العاصمة الموقرة أو حكومتها التي تتبع لها قرية تل الذهب والقرى الأخرى، كما أخبرنا النص عند اجتماع الآغا مع وفد العاصمة؟ (ص22), (والعاصمة اختصار للوطن) يعني إن قلت القاهرة فإنك تعني بذلك مصر وإن قلت موسكو فإنك تعني بذلك روسيا وهكذا. تلك العاصمة التي كان بيدها الحل والربط والتعيين والإعفاء، وقد أعفت مدير المدرسة (رفعت) وعينت بدلاً منه وفاء، هذه الحكومة التي كانت تُعلِم بقية القرى بالمذياع عن سير الطوفان وهذا يعني أن التلفزيون لم يكن موجوداً حينها. ماذا فعلت قبل الطوفان وأثناء حدوثه؟ لماذا لم تُسَخِّرْ إمكاناتها من خلال مؤسساتها وقنواتها، وما ملكت يمينها لفعل أي شيء تجاهه؟ هل اكتفت بمراقبة ما يجري من حولها، ورأت أن سقف ما هو مطلوب منها هو إعلام مواطنيها أين وصل الطوفان؟ وماذا دمر؟ وإلى أين يسير؟ أليست هي المسؤولة أولاً وآخراً عنهم في السراء والضراء وحين البأس؟. أم أنها تشبه مواطنيها؛ بل هي طبق الأصل عنهم، وكأنهما وجهان لعملة واحدة؟ ألا يذكرنا تشابه الاثنين بـ(أفلاطون) الذي شبه الدولة بالفرد قائلاً في كتابه الجمهورية: (الدولة شخص كبير والفرد دولة صغيرة). أليس من سيغفر لها تقاعسها الواضح الفاضح, وبخاصة إذا تذكرنا أن الطوفان قد حصل في زمن الثورة، ولو أنها كانت في ريعان يفاعتها كما أسلفنا؟!

ختاماً نقول: إن نص الطوفان أراد أن يقدم لقارئيه عبارة, أو بالأحرى عبرة تقول: إنّ من يريد العيش في بر الأمان وشاطئ السلامة، عليه - حكومة وشعباً – اتخاذُ التدابير اللازمة لتلافي كل طارئ في أوقات السلم ولحظات الرخاء على أسس سليمة مدروسة منهجية كفيلة بدرء كل خطر داهم على الصُّعُد كافة؛ فالبناء في زمن الرخاء هو البناء الذي يفيد زمن الشدة، ودرهم وقاية للجسم المعافى خير من قنطار علاج. أما إذا كان الجسم غير معافى – فالدواء لا يستأصل الداء، لكنه قد يكون علاجاً آنياً لتسكين ألم المرضى لكن، ليس بإمكانه - أبداً – أن يُخْيِيَ الموتى.

المراسلات:
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117240-6117241
-فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطر:أعضـــاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفـــراد1000ل.س -وزارات ومؤسسات1217ل.س - في الوطن العربي:للأفراد300 ل.س أو30 $ - للوزارات والمؤسسات 4000ل.س أو40$-خارج الوطن العربي:للأفراد 6000ل.س أو 120$ - للمؤسسات7000ل.س أو140$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهات نظر أصحابها

www.awu.sy
E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدقّقة مع مراعاة التشكيل حين اللـزوم، وعلامات الترقيم.
- لا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
- يرفق مع المادة (C.D) أو ترسل عبر البريد الإلكتروني.
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.
- لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

«اغيثوا غزة"

يفوز بالجائزة البرونزية في تونس

حصل المنتج والمخرج فريد شاهين على الجائزة البرونزية عن فيلمه «أغيثوا غزة» .في مهرجان اتحاد إذاعات الدول العربية في دورته الخامسة عشر التي أقيمت في تونس في 2012/12/28. وقد أشار فريد شاهين إلى أن فيلمه «أغيثوا غزة» يستعرض واقع الحياة المريرة لسكان قطاع غزة منذ العام 2000 وحتى نهاية هذا العام، من خلال معالجة توثيقية لهذه المرحلة. وأضاف شاهين أن فوز الفيلم هو بمنزلة انتصار لعدالة القضية الفلسطينية ولصمود أطفال الشعب في قطاع غزة، مؤكدا أن هذا الفيلم يعدّ وثيقة هامة ترصد انتهاكات حقوق الإنسان. يذكر أن المخرج فريد شاهين أنتج وأخرج أكثر من 300 ساعة تلفزيونية من برامج وأفلام وأغان مصورة تختص جميعها بالشأن الفلسطيني , وحاز على العديد من الجوائز و التكريمات الدولية و العربية والمحلية.

راتب سكر وسلافة الروح

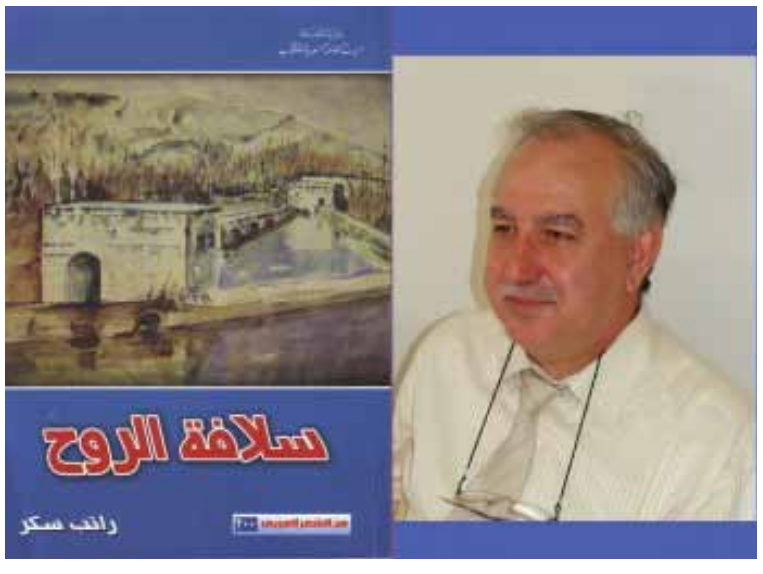

"سلافة الروح" هي آخر مجموعة للشاعر الدكتور راتب سكر صدرت عن وزارة الثقافة في دمشق، ضمن منشوراتها لعام 2012 ، وفيها ثماني عشرة قصيدة موزعة على 144 صفحة من القطع الصغير. غلاف المجموعة "لوحة باب النهر" للفنان التشكيلي موريس سنكري، صديق الشاعر من أيام الدراسة في المرحلة الثانوية، على ضفاف العاصي التي حضرت في القصائد، حضورا جماليا مؤثرا، بدءا من صفحة إهداء الكتاب: إلى ناعورة الدهشة.. أستاذة وجارة وصديقة! من قصيدة "عدية الدنيا": هي حمص أعرفها إذا ضحكت فكم رتلتُ أشواقي \لطلعتها العدية \كم حنت يدها على روحي\ وما أنا غير دن \من وفاء ساهر \ يرعى النجوم تعلقا بدروبها وأناسها\ وأنا الصدى الهيمان\ لو نسمت على وادي حماة\ جنوب جارتها\ وهل المشتهى من غادة العاصي\" صدر له من قبل خمس مجموعات شعرية،منها "أبي ينحت الحجر" و"في حضرة العاصي"، فضلا عن مؤلفات في الترجمة والدرس النقدي والأدبي.

الغابة وقصر الأحلام

ضمن سلسلة أدب الأطفال لعام 2012، أصدر اتحاد الكتاب العرب بدمشق رواية للفتيان بعنوان «الغابة وقصر الأحلام» للكاتبة نظمية أكراد. استطاعت الكاتبة, عبر اللغة البسيطة المعبّرة والسرد السلس المحبّب والتشويق المتقن الذي احتضن الأحداث من غير إقصاء للجانب المنطقي, أن تمنح روايتها جواز سفر لعالم الفتيان، سيما وأن خبرة الكاتبة نظمية أكراد في مجال الكتابة للأطفال قد تجلّت بأبهى وأنضج حللها في هذه الرواية. تقع الرواية في 222 صفحة وغلافها للفنان يوسف اسمندر.

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المدير المسؤول: د.حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: غسان كامل ونوس

مدير التحرير: عياد عيد

المدير الفني: نضال فهيم عيسى

هيئة التحرير:
إسماعيل الملحم - د. حمدي موصللي - زهير هدلة
-د. عادل فريجات - مريم خير بك

ليس آخراً

غسان كامل ونوس

زقزقة

تضجّ في داخلك الأفكار، وتتشوّش الرؤى، وتختلط المشاهد، المزعج منها والمروّع والمحيّر، وتتداخل الأخبار الفاجعة القريبة والدامية في الطرق والحارات.. والجوار؛ حتّى في بيتك.. ربما؛ فتحسّ كأنّ في دماغك وكراً للدبابير، أو نفقاً للجرذان، أو كأنما «على رأسك الطير»، أو على صدرك صخر تدقّه المطارق، أو أنّ الأسنّة تتنابل في جبهتك، ولا تتكسّر النصال على النصال في جنبيك، وما يسيل على وجهك وفي ثناياك ليس سوى سوائل حمر؛ فتكاد تقع إذا ما وقفت، وتعرج إذا ما مشيت، وليس ما تحتك إذا ما كنت مستلقياً بأيّ داعٍ سوى شوك ومخارز..

وتكاد لا تتنبّه إلى الفجر، أو لا تريد أن تستشعر الصباح؛ فما من مكان لوخز جديد، ولا حيّز لأنةٍ مستجدّة، ولا مسمع لخبر قاتم.. ولا حتّى لعبارة أو ترنيمة أو ترتيلة مذكّرة بمواعيد وفروض وواجبات..

ولا ترغب في أن تصدّق أن زقزقة بكّرت، وعبرت ستر النافذة العاتم أو ركام الوقر في مساماتك؛ فكيف استطاع عصفور أو طائر ما عبورَ الأجواء المسكونة بالمقذوفات الطائرة الهادفة أو الطائشة؟! وكيف يقدر أن يزقزق إذا ما قدّر له أن يفلت منها، كما يقدّر لأفراد كتبت لهم الحياة من جديد، بعد كمائن محكمة، وحصارات خانقة، حتّى إنّ بينهم مصابين رجوا زملاءهم أن يقتلوهم، لكي لا يقعوا في أيدي من لا يعرفون الرّحمة، أصحاب القلوب الذين لا ينتمون إلى صنف البشر، وهم يحملون «الحدود» المثلّمة من الحزّ الليّن.. ناهيك عن فصول الفتك الأخرى وأدواتها الأفظع!

لعلّك تردّد في سرّك الأمنية ذاتها، وأنت بينهم؛ تنتابك قشعريرة؛ فما كنت تراه ليس إلا كابوساً يتكرّر في حالات التنوّم، كما يعاود جلده في حمّى اليقظة..

تتململ لتختبر قدرتك على الحركة، فتُفَكِّكُ عقد، وتتوالى طقطقة، كأنّ نومك امتدّ أكثر من أهل الكهف، رغم أنك في فراش وتحت غطاء و.. سقف، وسواك يتلبّس العراء في برد كانون وعتمته وجنونه، وضغط الترقّب الجحيمي لضربة قاضية أو قنص مباغت، أو يستعدّ حاملاً مكتظاً أو محمولاً على آلة صمّاء قد تغدو «حدباء»، في طريقه إلى مهمة نوعية، أو عملية استئصال دقيقة، لا مناص فيها من كونه قاتلاً أو مقتولاً.. هو الذي لم يتعوّد مثل هذه المواقف، ولم يتوقّع أن مثل ذلك يمكن أن يحصل في هذا الموقع أو ذاك من الجسد الواحد، رغم أن التاريخ والمسموعات والجهات لا تكاد تسكت عن مثل ذلك المعترك الذي يهيم فيه الكائن العاقل، بعد ما امتلك أعماق الأرض وأركان السماء!

تحاول التنصّت، لتتأكّد أن الصوت حقيقي، وليس حلماً شرد من بين أوصالك، وأن الضوء طبيعي، وليس وهجاً ناجماً عن جمر لا يرمد، وحريق في البال. تتحرّك بمشقة، لأن المكابس على المفاصل لا تتفلّت بسهولة، ولا تتنزّل الأثقال عن الأطراف التي لا تحمل إلا نفسها، وتحاذر أن تمدّ أصابعك المتيبّسة إلى وجهك مخافة أن تجرّحه، وأنت تزيل عنه ما تظنّه طبقات من قتام، ولا تحاول أن تصل إلى رأسك الذي تحسب ما عليه أشعث ملبّداً، تحاذر أن تمرّ بالمرآة كيلا تكتئب أكثر من رؤية شكلك الشيطاني بقرون وأظلاف وأشياء متطاولة ومتدلية، تُجَرجَر أو تُسحج أو تهوّم!

لكنّ الخوف يقودك إلى استراق النظر إليها، فتدهش وتنظر حولك؛ فهل يساكنك أحد؟! أو يجاورك، أو يداهمك كائن آخر؟! الأبواب موصدة جيداً والنوافذ محكمة، والأصوات الراجّة والقابضة تصل من بعيد أو قريب..

الكائن يشبه أحداً تعرفه، أو كنت تعرفه، وتحنّ إليه، إلى هيكله، رغم أن للشياطين المتربصين الغازين الغادرين لهم أشكال مقاربة وهياكل مشابهة.

ها هو يحاول أن يهرب إذ تهرب، ويتقدم حين تتقدّم، ويحرّك ما تحرّك، ويخبّئ ما تخفي.. في وجهه ملامح إنسان، وفي مظهره شكل آدمي، وعناصر وجهه ظاهرة، وشعره منكوش قليلاً أو كثيراً، ولكنه خفيف كشعرك وناعم؛ لعلّ الكائن المقابل أنت!

صوت الزقزقة يتوالى ويتكاثف؛ أمعقول أنك نجوت مرة أخرى؟! وأنّ لديك طاقة وحيوية ورغبة.. تدفعك إلى أن تتأكّد من ذلك، وأنّ لديك شعوراً بالضوء الذي ينتشر أكثر فأكثر؛ حتى الشمس تشرق، وتطلّ من بين الغيوم، لتؤكّد لك أنّ حياة ما تزال لديك ولدى الآخرين الذين تتعالى أصواتهم في أكثر من صوب..

إذن.. ما زلتَ حيّاً؛ ويفشل الموت بالرصاص أو بـ«الأسلحة السوداء»، وبالكوابيس، والتهديد والترهيب والتجويع..؛ لم تنتهِ أوقاتك وفرصك واحتمالاتك، كما لم تُختتم الحياة لدى كائنات أُخر!

لعلّ في ذلك أملاً ودافعاً وسبيلاً إلى السعي بوعي وجدّ من أجل خلاص جديد، خلاص وشيك.. أكيد!!

***

ghassan.wannous@gmail.com